بسم الله الرحمن الرحيم

السنة ٨
صدى
عاشوراء

العنوان: صدى عاشوراء
الناشر: العتبة العباسية المقدسة ـ قسم الشؤون الفكرية والثقافية
الإعداد والتحرير والمراجعة اللغوية: شعبة الفكر والإبداع وحدة الإصدارات
التصميم : حسين عقيل - حسين علي
الطبعة: الأولى
عدد النسخ: ٣٠٠٠
المطبعة: دار الضياء ـ النجف الأشرف
العراق ـ كربلاء المقدسة
شهر محرم الحرام ١٤٣٥هـ ـ كانون الاول ٢٠١٤م
حقوق النشر والتوزيع محفوظة للعتبة العباسية المقدسة

یا اباعبدالله
حسین

المحتويات

١٠ حتى لا نكون أصفارا

١٤ المواكب الحسينية وآثارها الاجتماعية

٢٠ ثورة عاشوراء ملهمة الثورات

٢٦ ومضة حول حديث
(حسين مني وأنا من حسين)

٣٠ من غرر كلمات أهل البيت عليهم السلام

٣٨ صور مشرقة من عاشوراء

٤٤ كيف نتعامل مع ظاهرة التشكيك

٥٢ لماذا كربلاء؟

٦٠ عندما تُفقد المعايير

٦٤ البكاء على سيد الشهداء عليه السلام بوابة النجاة

٨٠ قبسات من إيثار عاشوراء الحسين عليه السلام

١٠٠ تأملات في حديث
(إن الحسين مصباح الهدى و سفينةُ النجاة)

بالرغم من كل ما كتب وقيل ونقل عن الإمام الحسين عليه السلام وعن عاشوراء، وكل ما جاء على ألسنة وأقلامٍ كبار الكتاب والعلماء والمفكرين حتى يومنا هذا يبقى المجال مفتوحاً للحديث عنه (صلوات الله عليه).

وتدقيق النظر في شخصية سيد الشهداء عليه السلام ومسألة عاشوراء والثورة الحسينية يدفع إلى الاعتراف والإذعان بحقيقة أنها مترامية الأطراف والأبعاد، وتستحق منَّا العناء والتفكير والتبيان والعمل، وأننا متى ما تعمّقنا في بحار عاشوراء نكتشف حقائق جديدة لم نلتفت إليها من قبل، وهذا إن كان يدل على شيء فإنه يدل على تجدد عطاء عاشوراء وازدياده في كل لحظة، وأنَّ الوقت كلَّما مضى كلَّما ازداد اذعاننا بخلود هذه النفس المطمئنة نفس سيدنا ومولانا أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وكما قال الشاعر:

كذب الموت فالحسين مخلَّد كلَّما أخلق الزمان تجدّد

نسأل الله تعالى أن يوفقنا في عامنا هذا وفي كل عام لاستقبال شهر الشهادة شهر المحرم الفيَّاض بالحزن والآلام، ونعرض كل ما نملك من قدرات معنوية ومادية لنسيم عاشوراء المبارك وبحر عطاء الإمام الحسين عليه السلام لنزداد نفعاً، وتألقاً، وكمالاً في الحياة الدنيا والآخرة.

اللّهم إنَّا نسألك بأنوار سيد الشهداء عليه السلام وعطاء عاشوراء أن تضيء بنورك قلوبنا، وأن تجعلنا ممن يسير على خطى المولى أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وممن يوفَّق لخدمته، ونشر أهداف ثورته المباركة.

الشهداء
السلام عليك يا

رضي منصور/باحث إسلامي

هناك طريقان أمام كلِّ فردٍ منَّا: إما أن يكون صفراً على الشمال، أو أن يكون رقماً صعباً في هذه الحياة، إما أن يقبل بواقعه ولا يتعب نفسه بالتفكير لأجل التغيير، ويذوب في وسط ذلك المجتمع، ويكون عنصراً مستقبلاً لأية فكرة تطرح في ذلك الوسط. أو أن يرفض واقعه، ويُطلق عقله، ليحلق في هذا الكون، ويرفض كل محاولة لتمييع شخصيته وتذويبها في ذلك المجتمع، ويرفض الرضوخ لأفكار ذلك المجتمع، ويكون عنصراً فعّالاً، مغيراً في ذلك المجتمع.

هذان طريقان أمام كل فردٍ منا: إما الموت أو الحياة.. إما الفرد الهامشي، أو الأمة الفاعلة.. ولكن كيف يتحول الفرد إلى أمة، وكيف يكون رقماً صعباً في هذه الحياة؟وللإجابة عن هذا السؤال المهم، أدعوكم للتأمل في السيرة الحسينية، لأخذ الدرس والعبرة منها ففي معسكر الإمام الحسين﵇ نجد الإجابة الوافية، فكل فرد في ذلك المعسكر تحوّل الى أمة، وإلى رقم صعب.

كل فرد منهم أراد أن يكون رقماً صعباً، ورفض أن يكون صفراً، الظروف مهيأة لكل منهم لأن يخط بيده مصيره، إما أن ينسحب وينجو بحياته، ويكون صفراً، أو يقتل، وتنتهي حياته ويكون أمة.

إننا نجد التسارع إلى ساحة التحول، التحول من الفردية، من الصفر، إلى الأمة، إلى العدد الصعب أطفال رضع، شيوخ، شباب، نساء... كلهم تحولوا في غضون ساعات إلى أرقام صعبة، وبذلك كانوا أمة. ولكن كيف كان ذلك؟أقول إن ثمة أموراً تسهم في بناء الفرد الأمة نذكر منها:

أولاً / الأهداف والتطلعات :

إن كل حركة يعملها الإنسان (الأمة) فإنه يهدف منها أهدافاً مقدسة، وهذا ما نجده في سيرة الإمام﵇ "ألا وإني لم أخرج أشراً ، ولا بطراً، ولا ظالماً، ولا مفسدا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي....".

فلم تكن الاهداف مصلحية، أو هامشية، وإنما هي أهداف إصلاحية شاملة، أممية، أهداف تتعدى الحدود الضيقة، أهداف تقتلع جذور الفساد بكل أنواعه.

وهكذا يتحول الفرد إلى أمة حين تكون أهدافه وتطلعاته أهداف أمة كما قال الإمام﵇: " أمّة جدي" لا أن تكون أهدافنا أهدافاً متمحورة حول الذات.

ثانياً/ الثبات على الموقف :

الإنسان وموقفه في هذه الحياة، لابد أن يكون له موقف تجاه أي قضية، وإلا تحول إلى "همج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح.."، ولا بد من الثبات على المواقف المقدسة التي لا تقبل المساومة.

لم يقبل الإمام عليه السلام ولا أحدٌ من أصحابه المساومة، والتنازل عن المبدأ، رغم علمهم بالمصير، لماذا؟ لأن القبول والرضوخ لبيعة يزيد يعني القضاء على معالم الدين.

لذا نجد الإمام عليه السلام يقول: "لَا وَاللهِ لَا أُعْطِيكُم بِيَدِي إِعْطَاءَ الذَلِيلِ، وَلَا أَقَرُّ إِقْرَارَ الْعَبِيدِ"، فالقضية قضية مبدأ، لا تقبل المساومة وفي كلمة أخرى يقول عليه السلام: " أما والله، لا أجيبهم إلى شيء مما يريدون حتى ألقى الله مخضباً بدمي...".

ثالثاً/ رفض الواقع الفاسد :

الثورة على الذات، ورفض الأفكار الميتة، والانطلاق من صراط الله تعالى، هي من سمات الأبطال والذين خلدهم التاريخ، فها هو الحر بن يزيد الرياحي الذي لم يقبل أن يكون أسيراً لذاته، وأهوائه كما فعل بن سعد، بل فكَّر، وفكَّر، وعرفَ طريقَ الحقِّ واتّبعه، إنه لم يغلّفْ عقله كما فعل المجتمع الكوفي، بل أطلق العنان للفكر ليحدث ذلك التحول العظيم والذي قاده إلى الجنة.

لذا فإن من الواجب علينا أن لا نرضخ للواقع، مهما كانت سماته، بل لابد أن نكون طموحين، حاملين لإرادة التغيير، ثابتين في كل حركة نتحركها.

حتى نتحول إلى أمة.. علينا أن نعي أنفسنا.. ومتطلبات عصرنا، كما كان الإمام الحسين عليه السلام الذي رسم لنا طريق المجد، طريق الحق.

فها هي كلماته عليه السلام وبعد مرور أكثر من ألف سنة لا تزال تعمل عملها في تحريك الضمائر للتحرر من عبودية الذات، والأفكار الفاسدة، ها هو يصرخ قائلاً: "إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم...".

عبدالله الحسيني / باحث اسلامي

الإسلام يبني المجتمع على أساس من المحبة والترابط والتراحم وليس على أساس التناقض والتنافر، ومن هنا نجد أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أول عمل قام به في المدينة هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وأراد بذلك وضع اللبنة الأولى في المجتمع، وأن يبين للمجتمع أجمع: إن مجتمعنا هذا يقوم على الأخوة والوفاق والتراحم ونبذ الصراعات الداخلية والتناحر والبغضاء، وان كان هناك تنافس فإنه تنافس في سبيل الخير العام ومصلحة الأمة.

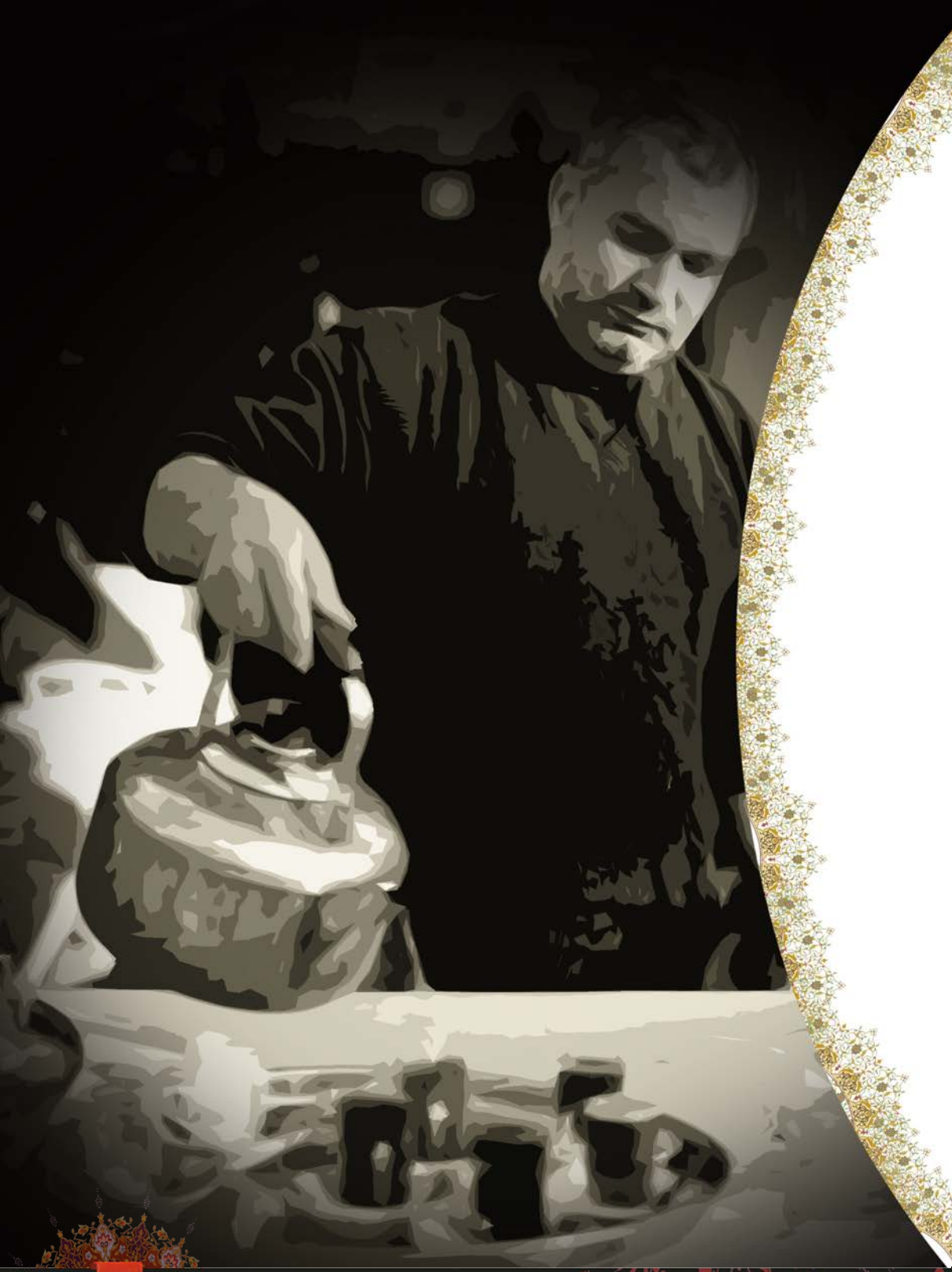

ولأجل أن يكون المجتمع قوياً متماسكاً قادراً على ردِّ كيد الأعداء. وفي نفس الوقت قادراً على السير قدماً بخطوات ثابتة في طريق التطور والنمو والرفاه، وأنه كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ)سورة الصف/ الآية:٤، نجد أن أكثر الشعائر الإسلامية تركّز على هذه الوحدة والأخوة، فصلاة الجماعة، والحج، والصيام، ومجالس العزاء كلها تؤكد على أهمية الترابط الاجتماعي.

ومن العوامل التي لها دور كبير في تقوية أواصر المحبة والعلاقات الطيبة بين أفراد المجتمع (المواكب الحسينيّة) والتي هي عبارة عن التحرّك الجماهيري الذي يذكّر ويسعى لتحقيق أهداف ثورة الإمام الحسين ﷺ، وإظهار عاطفة الحب والولاء لأهل البيت(عليهم السلام). والمشهور تاريخياً أنّ المواكب الحسينية قد جرى تأسيسها بعد استشهاد الإمام الحسين ﷺ، فكان أول مأتم أقيم بكربلاء في الليلة الحادية عشرة من محرم، مباشرة بعد مقتل الإمام الحسين ﷺ، برعاية ابنه الإمام علي بن الحسين زين العابدين ﷺ، وبحضور أهل بيته ونساء أصحابه بكربلاء. وقام الإمام علي بن الحسين ﷺ بإلقاء أول خطبة في جماهير الكوفة التي ازدحمت حوله حينذاك، وتبعته السيدة زينب وأم كلثوم وفاطمة الصغرى(عليهنّ السلام).

لقد حقق الموكب الحسيني ما لم تحققه أقوى النظريات الاجتماعيّة في المجتمع؛ إذ استطاعت المواكب الحسينية، أن تقوم بأدوار بارزة في تقديم خدمات اجتماعية كثيرة. ويمكن ذكر قسم منها:

١- ساهمت في خلق نوع من الترابط الاجتماعي قلّ نظيره، فقد صنعت انسجاماً ما بين أنواع وطوائف من المجتمع لا يمكن أن تنسجم غالباً، ولكن هذه الأنواع ذابت في بودقة الموكب الحسيني من خلال حبّ الحسين عليه السلام الذي جمع تحت لوائه كل الاتجاهات فقد جمع بين السيد والعبد، وبين الشيخ والشاب، وبين الكبير والصغير، وبين المسلم وغير المسلم، لكنّهم يلتقون بحبّ شخصٍ واحد اسمه الحسين، وهكذا كان من ينتمون الى المواكب الحسينية، فتقوية الأواصر الاجتماعية ودعم التعايش السلمي بين مكونات المجتمع المتنوعة، إحدى الفوائد المجتناة من هذه المواكب.

٢- تعطي بعض الصور المؤثرة حول واقعة الطف كاستشهاد الإمام الحسين عليه السلام أو سير السبايا وهذا بدوره يساهم في تقوية المنظومة العقائدية والأخلاقية والفقهية لدى أتباع أهل البيت(عليهم السلام).

٣- تساهم في صياغة وعي الإنسان، كشخصية إسلامية رسالية، وأنموذج أخلاقي قادر على إصلاح الأوضاع الاجتماعية الفاسدة ونشر العدالة الاجتماعية؛ لأن مأساة أبي عبدالله الحسين عليه السلام تنطوي على أسمى معاني الاستشهاد في سبيل العدل الاجتماعي.

٤- يعد مظهراً إعلامياً شعبياً لتكوين رأي عام، ورسالة عالمية لنشر أهداف النهضة الحسينية الخالدة كالعدل والحرية والسلام، وهو أحد صور الخطاب الإعلامي الإسلامي، ولسان صادق للتعبير عن الحالة الاجتماعية والسياسية للأمة.

٥- التنظيم الاجتماعي الداخلي، اذ لا ريب أنّ هذه المواكب أمدّت الشيعة بإمكانات كبيرة على تنظيم صفّهم الداخلي، وتوفير عناصر التماسك في الجماعة.

٦- وسيلة لشحن عواطف الأمة وتغذيتها بإرادة الصبر والتحديّ أمام الصعوبات.

٧- تجسيد مفهوم التضحية والعطاء والبذل من أجل بقاء الدين، وحفظ رسالة الإسلام، حتى ظهور القائم بالأمر الإمام المنتظر(عجل الله فرجه).

٨- القدرة على التحول الى كتلة اجتماعية فاعلة قادرة على تنظيم شؤونها الداخلية والحفاظ على تماسكها أمام التحديات التي واجهتها وتواجهها من خلال عناصر وحدتها وتماسكها وتنظيمها، فاجتماع الناس تحت ظِل الراية الحسينية كفيل بتوفير أسس التنظيم الفاعل.

٩- تساهم المواكب الحسينية في إنماء خاصية التفكير الجماعي، وهذا التفكير يرى فيه بعض الباحثين بديلاً من خاصية (العقل الجمعي) الذي تتحدث عنه الدراسات الغربية في بحث السلوك الجمعي.

فالموكب الحسيني -على ما مرّ- يمكن أن نعبر عنه أنه ثلة مؤمنة رسمت لوحة الحب الحسيني بألوان السخاء والهمة والمواساة، هدفها السامي أن تنجو من الهلاك من خلال سفينة النجاة والرحمة سفينة أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

عبد الهادي علي / صحفي

حينما نقرأ في التاريخ يطالعنا مشهد رهيب حول مجموعة من الرجال والنساء والأطفال منع أعداؤهم عنهم الماء، وحاصروهم ومنعوا كل ناصر أن يصل إليهم، قطعوا أبدان رجالهم بالسيوف، وقطعوا رؤوسهم ورفعوها على الرماح، وأحرقوا خيامهم، وسحقوا أطفالهم بحوافر الخيل، وتركوهم على رمضاء الصعيد دون دفن، كل ذلك فعلوه من أجل أن لا يبقوا باقية لهذا البيت.. من أجل أن يطفئوا تلك المصابيح التي تنير درب الهداية، ولكن الذي حصل أن تلك الدماء الزاكية ظلَّت تثور على الظلم والطغيان في كل زمان إلى يوم القيامة، لقد أراد أولئك الطغاة أن يسلبوا الحياة من تلك الأنفس الزاكية، لكنَّهم ظلوا أحياء، ورسموا طريق الحياة للبشرية أجمع.

أولئك هم الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره (صلوات الله عليهم). الذين قتلوا من أجل أن يهبوا لنا الحياة، فاستحقّوا أن يكونوا أحياءً عند ربهم يرزقون.

لقد امتاز أبطال عاشوراء بصفات عديدة جعلت قتلهم قتلاً لأعدائهم ومن أهم تلك الصفات:

الصفة الأولى:

أنّ أهداف عاشوراء، تتناغم مع صميم الفطرة الإنسانية، التي تدعو إلى رفض كافة أنواع الاستبداد، فقد قال الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء لأعدائه: (إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ وَلَا تَخْشَوْنَ الْمَعَادَ، فَكُونُوا أَحْرَاراً فِي دُنْيَاكُم).

ولذلك نجد عاشوراء ألهمت الكثير من الثوّار بمختلف مذاهبهم وتوجُّهاتهم الفكرية، حتى قال غاندي: (لقد طالعتُ بدقة حياة الإمام الحسين، شهيد الإسلام الكبير، ودقَّقتُ النظر في صفحات كربلاء، واتضّح لي أنّ الهند إذا أرادت إحراز النصر، فلابد لها من اقتفاء سيرة الحسين). لقد كانت نهضة الإمام الحسين عليه السلام ذات خطاب فكري عام تفهمه كل البشرية.

الصفة الثانية:

كان هدف أولئك الأبطال القيام بثورة الإصلاح للوضع القائم آنذاك وليس انقلاباً، والثورة من أكثر الحلول سرعة في التغيير إن كان قصدها رضا الله سبحانه ويمكن تمثيل ذلك، أن الثورة ذات الأهداف المقدسة شبيهة بالنواة في صغر حجمها، لكنّها عندما تنفجر تصدر طاقة تفوق أضعاف حجمها، بل وتعبر حدود زمانها ومكانها، إلى زمان ومكان آخر وأفسح تؤثِّر عليهما، وتغيِّر من مسار ومفاهيم شعوب ذلك الزمان وذلك المكان.

الصفة الثالثة:

لقد ارتبطت ثورة أولئك الأبطال ارتباطاً وثيقاً بدين الإسلام الخاتم لكل الأديان السابقة المحفوظ من قبل الله تعالى، وكانت الثورة الحسينية إحدى الأدوات التي حفظ الله بها دينه،

فكان حريّاً أن تُحفظ تلك الثورة أيضاً كما حُفظ القرآن الكريم وبقي.

لذا يقول الكاتب الانجليزي تشارلز ديكنز: (إنْ كان الإمام الحسين قد حارب من أجل أهداف دنيوية، فإنَّني لا أدرك لماذا اصطحب معه النساء والصبية والأطفال؟ إذن، فالعقل يحكم أنّه ضحّى فقط لأجل الإسلام).

الصفة الرابعة:

قائد أولئك الثوار كان ذا شخصية عظيمة وعريقة ومعروفة نَسَباً وتُقى. وهذه الشخصية أضافت للثورة بُعداً وقيمة لا يمكن أن تضيفها شخصية أخرى غيره. وكانت التضحيات التي قدمها سبباً رئيسياً في خلودها؛ وهذا ما يفسّر بقاء وامتداد ثورة الإمام الحسين عليه السلام على الرغم من أنّها انتهت عسكرياً لصالح أعدائه من الناحية الظاهرية، لكنّ مكانة وعظمة الإمام الحسين عليه السلام وإخلاصه للهدف وتخطيطه المتقن، جعلها تنتصر فكرياً، ليأتي من بعده الثوّار ويقتبسوا من ذلك الفكر المتوقِّد ويحقِّقوا به نصرهم العسكري.

والحقيقة أنَّنا حين نحيي عاشوراء، نحيي في أنفسنا مجموعة من القيم والمفاهيم التي أحياها هؤلاء الأحياء الشهداء يقول موريس دوكابري: (يقال في مجالس العزاء أنّ الحسين ضحّى بنفسه لصيانة شرف وأعراض الناس، ولحفظ حرمة الإسلام، ولم يرضخ لتسلُّط ونزوات يزيد. إذن تعالوا نتَّخذه لنا قدوة، لنتخلَّص من نير الاستعمار، وأن نفضّل الموت الكريم على الحياة الذليلة).

فعاشوراء تُحيي في الإنسان مفهوم الحياة الصحيحة الكريمة، القائمة على الحرية ورفض الاستبداد، وعدم الاستسلام والرضوخ للمستبّدين.

من هنا يحقّ لنا بفخر أن نستذكر عاشوراء دون الالتفات لِمَا يقوله السفهاء منّا ومن غيرنا، كما هو حقّ لبقية شعوب الأرض أن تحيي وتستذكر وتقدِّس عظماءها وبالطريقة التي تراها؛ لأنّ الأمّة الواعية هي التي لا تتنازل عن تأريخها، خصوصاً عندما يمس

كرامتها وحريتها، وعندما يرتبط الأمر بالدفاع عن فكرها الذي آمنت به عن وعي وإدراك.

يقول الهندي تاملاس توندون: (هذه التضحيات الكبرى من قبيل شهادة الإمام الحسين، رفعت مستوى الفكر البشري. وخليق بهذه الذكرى أن تبقى إلى الأبد، وتُذكر على الدوام).

شهداء عاشوراء إلى اليوم أحياء، نستذكرهم واحداً تلو الآخر في أيَّام إحياء عاشوراء؛ فذكراهم إحياء للإنسان، وأيُّ إنسان؛ ذلك الذي يترجم مفاهيم عاشوراء ويخرجها من إطارها التاريخي إلى واقعنا الحالي. وما تبيان مظلوميّة هؤلاء الأحياء الشهداء، وشحذ العاطفة تجاههم وهو الأمر الذي دعا إليه أئمة الهدى(عليهم السلام)، إلاّ لترسيخ مبادئهم الثورية، وإحياء قيمهم ومفاهيمهم الفكرية والدينية والأخلاقية في نفس كل إنسان.

شعارنا بكربلا رفع العزاء
نخدد الولا يا اهل الوفاء
الفتاة عشتاة
حسيناه حسيناه حسيناه
وشيعتم بوحمه رمز الفداء
فهنيئه لي اخي احل السقاء
بيمناه ويسراه
حسيناه حسيناه

معاني سالم/ باحثة اسلامية

لقد طرح الرسول الخاتم محمد(صلى الله عليه وآله) مجموعة من الأحاديث حول مكانة الإمام الحسين عليه السلام تحمل في طياتها مضامين عظيمة وعميقة كحديث(حسين مني وأنا من حسين)، وحديث(الحسين سبط من الأسباط)، و(الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) وأمثال ذلك.

يا حسين

ومن تلك النصوص البالغة الأهمية هذا الحديث الشريف: (حسين مني وأنا من حسين أحبَّ الله من أحب حسيناً)، وقد روي أيضاً بهذه الصورة: (حسين مني وأنا منه، أحبَّ ألله من أحب الحسن والحسين...)، وقبل الدخول في شرح هذا الحديث لابد من الإشارة إلى أن هذا الحديث نقله الخاصة والعامة. ويمكن تفسير هذه النصوص على مستويين:

المستوى الأول:

أن نفترض أن النبي(صلى الله عليه وآله) أراد إبراز محبته للحسين عليه السلام، وتعلقه به فاستعمل عبارات مثل: (حسين مني وأنا من حسين)، و(أن الحسن والحسين سبطان من الأسباط) وأمثالها، ومما لاشك فيه أن حجم عاطفة النبي(صلى الله عليه وآله) وحبه للحسن والحسين(عليهما السلام) كان كبيراً إلى حدٍ لا يوصف، ولكن لا يمكن أن يكون هذا هو التفسير الوحيد والصحيح للنصوص؛ لأنه سيصطدم بحقائق دينية أخرى.

المستوى الثاني:

أن نفترض أن النبي(صلى الله عليه وآله) أراد الى جانب إبراز محبته تأكيد حقيقة دينية تتعلق بشخصية الإمام الحسين عليه السلام، عبَّر عنها بالعبارات السالفة التي جمعت بين المحتويين العاطفي والديني؛ وذلك لأن (منِّي ومنَّا) التي يستعملها القرآن الكريم، ويستعملها الأنبياء(عليهم السلام)، وإن كانت من ناحية الاستعمال اللغوي لا تختلف عن استعمالات العرب المتعارفة إلّا إننا نلاحظ أن استعمالها في القرآن الكريم جاء في إطار تأكيد واقع ديني أو حقيقة دينية، وليس استعمالاً كنائياً على أساس أنَّه أحد أساليب التعبير.

ولعل من الأمثلة القرآنية التي تبين هذه الحقيقة قوله تعالى: (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

فمن الواضح أن الاستعمال الكنائي هنا لم يأتِ إلا لتأكيد خط الطاعة والالتزام، وذمّ خط العصيان والانحراف، وليس لتأكيد المعنى العاطفي بين طالوت وجنوده.

وهكذا ورد أيضاً في السنة الشريفة فقد ورد في سياق الكثير من النصوص تعبيره(صلى الله عليه وآله) بكلمة (مني أو منا) وهو في موقع التشريع الإلزامي.

لقد أراد الرسول الأعظم محمد(صلى الله عليه وآله) أن يبين أصالة مسيرة الإمام الحسين عليه السلام وبيان ماهيتها، فيكون الإمام الحسين عليه السلام هو امتداد للرسول، وحركته امتداداً لحركة الرسول، وأهداف الإمام هي نفسها أهداف الرسول، وهذا ما يدل عليه قوله(صلى الله عليه وآله): (وأنا من حسين)، حيث يعمل الإمام على إحياء الرسالة واستمرارية نهجها، ولذلك قال الإمام الحسين عليه السلام: (إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة..)[1].

لذا يجب أن نتعامل مع هذا النوع من الاستعمالات لا على أساس أنه استعمال عاطفي، أو أن عادة العرب في التعبير عن عمق المحبة والمودة تقتضي استعمال هذه الكلمات، بل علينا أن نتأمل في كل عبارة وردت عنهم(صلوات الله عليهم)؛ لأنهم عدل القرآن الكريم.

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٥.

محمد الموسوي / صحفي

حديث المعصوم عليه السلام يمثل نصّاً مقدساً وهو عدل القرآن الكريم، فكما أن القرآن الكريم يحيي القلوب فكذلك أحاديثهم(صلوات الله عليهم)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (يا فضيل إن حديثنا يحيي القلوب)[1]، وكما أن القرآن يحمل ثقلاً علمياً فكذلك حديثهم(صلوات الله عليهم)

(١) – بحار الأنوار، ٢،٣٠٧

هيهات منا الذلة

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (إن حديثنا صعب مستصعب، شريف، كريم، ذكوان، ذكي، وعر، لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن، قيل فمن يحتمله؟ قال: من شئنا) .[1]

وعن أبي محمد عليه السلام في تفسيره: (إنَما معناه أن الملك لا يحتمله في جوفه حتى يخرجه إلى ملك مثله، ولا يحتمله نبي حتى يخرجه إلى نبي مثله، ولا يحتمله مؤمن حتى يخرجه إلى مؤمن مثله...) .[2]

وعن حماد بن عثمان وغيره قالوا: سمعنا أبا عبدالله عليه السلام يقول: (حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وحديث رسول الله قول الله عزّوجلّ) [3].

وفي هذا الباب محاولة لتوجيه أنظار القرّاء الكرام إلى فكرة معيّنة عن طريق التركيز عليها والتجميع الموضوعي لما ورد من نصوص كلمات المعصومين(عليهم السلام) فيها، لما تمتاز به تلك النصوص من رؤية واقعيّة صادقة، وبيان شمولي بليغ يرتبط بمعين القرآن الكريم الذي لا ينضب، وتصديقاً لقولهم (عليهم السلام)، عن عبدالسلام بن صالح الهروي قال سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: (رحم الله عبداً أحيا أمرنا عليه السلام فقلت له: فكيف يُحيى أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس؛ فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)[4] .

---

(١) بصائر الدرجات، ٤٠.

(٢) معاني الأخبار، ١٨٨.

(٣) شرح أصول الكافي، ٣٣٥-٣٣٦.

(٤) مسند الإمام الرضا -عليه السلام-، ١/ ١٩٦

من آداب ومستحبّات عاشوراء:

١ - البكاء على الإمام الحسين(عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه(عليهم السلام):

عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (كلّ عين يوم القيامة باكية، وكلّ عين يوم القيامة ساهرة إلّا عين من اختصّه الله بكرامته، وبكى على ما ينتهك من الحسين وآل محمّد "عليهم السلام") (٥).

وعن الإمام الرضا(عليه السلام) في حديثه للريّان بن شبيب أنّه قال: (يا بن شبيب، إن كنت باكياً لشيء، فابكِ للحسين بن عليّ بن أبي طالب(عليه السلام)، فإنّه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه)(٦).

وقال(عليه السلام): (يا بن شبيب، إن بكيت على الحسين(عليه السلام) حتّى تصير دموعك على خدّيك غفر الله لك كلّ ذنب أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً) (٧).

عن أبي جعفر(عليه السّلام) قال: (كان عليّ بن الحسين(عليهما السلام) يقول: أيّما مؤمنٍ دمعتْ عَيناه لقتل الحسين بن عليٍّ(عليهما السلام) دمعةً حتّى تسيل على خدِّه بوَّأه الله بها في الجنّة غُرفاً يسكنها أحقاباً، وأيّما مؤمن دَمَعَتْ عيناه حتّى تسيل على خَدِّه فينا لأذى مسّنا مِن عَدوِّنا في الدُّنيا بوَّأه الله بها في الجنّة مبوَّأ صِدقٍ، وأيّما مؤمن مَسَّه أذىً فينا فَدَمَعَتْ عيناه حتّى تسيل على خَدِّه مِن مَضَاضةِ ما أُوذي فينا صرَف اللهُ عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة مِن سَخطه والنّار) (٨)

٢ - إنشاد الشعر:

عن أبي عبدالله(عليه السلام) أنّه قال: (من أنشد في الحسين بيتاً من شعر فبكى وأبكى عشرة فله ولهم الجنّة، ومن أنشد في الحسين بيتاً فبكى وأبكى تسعة فله ولهم الجنّة، فلم يزل حتّى

(٥) الخصال للصدوق، ص ٦٢٥.
(٦) وسائل الشيعة، ج١٤ ص١٨
(٧) أمالي الصدوق، ص ١٩٢.
(٨) كامل الزيارات، ج١، ص١٨٢

قال: [و] من أنشد في الحسين بيتاً فبكى-وأظنّه قال: أو تباكى- فله الجنّة) [٩].

عن أبي هارونَ المكفوف قال: (دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال لي: أنشِدْني، فأنشدتُه، فقال: لا؛ كما تنشدون وكما ترثيه عند قبره، قال: فأنشدته:

أُمْرُرْ عَلى جَـــدَثِ الحُسَينِ * فَـقُل لأعْظُمِـــهِ الزَّكيَّـــةِ

قال: فلمّا بكى أمسكت أنا، فقال: مُرَّ، فمررت، قال: ثمَّ قال: زِدني زِدني، قال: فأنشدته:

يا مَريمُ قُومي انْدُبي مَولاكِ * وَعَلى الحُسَين فأسْعِدي بِبُكاكِ

قال: فبكى وتهايج النّساء قال: فلمّا أن سَكتن قال لي: يا أبا هارون مَن أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى عشرة فله الجنّة، ثمَّ جعل ينقّص واحِداً واحِداً حتّى بلغ الواحد، فقال: من أنشد في الحسين فأبكى واحِداً فله الجنّة، ثمّ قال: مَن ذَكرَه فبكى فله الجنّة)، وروي عنه(عليه السّلام) قال: (لكلِّ شيءٍ ثواب إلاّ الدَّمعة فينا)[١٠].

٣- لبس السواد وترك الزينة:

عن عمر بن عليّ بن الحسين، قال: لمّا قتل الحسين بن عليّ عليه السلام لبست نساء بني هاشم السواد والمسوح، وكنّ لا يشتكين من حرّ ولا برد، وكان عليّ بن الحسين عليه السلام يعمل لهن الطعام للمأتم)[١١].

٤- الإنفاق وبذل المال:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: (إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة، ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا أولئك منّا وإلينا)[١٢].

(٩) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٨٩.
(١٠) وسائل الشيعة، ج١٤ ص١٥
(١١) المحاسن للبرقي ج ٢ ص ٤٢٠
(١٢) الخصال، ص ٦٣٥.

وعن معاوية بن وهب، قال: استأذنت على أبي عبدالله عليه السلام فقيل لي: أدخل، فدخلت، فوجدته في مصلّاه في بيته، فجلست حتّى قضى صلاته، فسمعته وهو يناجي ربّه وهو يقول: (اللهمّ يا من خصّنا بالكرامة، ووعدنا بالشفاعة، وخصّنا بالوصيّة، وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني، وزوّار قبر أبي عبدالله الحسين، الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم، رغبة في برّنا، ورجاءً لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيّك، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوّنا، أرادوا بذلك رضوانك. فكافهم عنّا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف..)[١٣] .

٥- إقامة العزاء والمشاركة فيه:

عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث له: (..ثمّ ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه ويأمر من في داره بالبكاء عليه، ويقيم في داره مصيبته بإظهار الجزع عليه، ويتلاقون بالبكاء بعضهم بعضاً بمصاب الحسين عليه السلام..) .[١٤]

وعن الرضا عليه السلام: (من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منّا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكّر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب)[١٥] .

٦- التعزية بالإمام الحسين عليه السلام:

عن الإمام الباقر عليه السلام لمّا سئل عليه السلام: فكيف يعزّي بعضهم بعضاً، قال: (يقولون: عظّم الله أجورنا بمصابنا بالحسين عليه السلام، وجعلنا وإيّاكم من الطالبين بثاره مع وليّه الإمام المهديّ من آل محمّد(صلى الله عليه وآله))[١٦] .

---

(١٣) كامل الزيارات، ص ٢٢٨.
(١٤) المصدر نفسه، ص ٣٢٦.
(١٥) أمالي الصدوق ص ١٣١.
(١٦) كامل الزيارات، ص ٣٢٦.

٧- زيارة الحسين عليه السلام:

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (من زار الحسين يوم عاشوراء وجبت له الجنّة)[١٧].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: (مُروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فإنَّ إتيانه يزيد في الرِّزق، ويَمدّ في العمر، ويدفع مَدافع السّوء، وإتيانه مفترضٌ على كلِّ مؤمنٍ يقرُّ للحسين بالإمامة مِن اللهِ عزَّوجَلَّ)[١٨].

٨- ترك العمل يوم عاشوراء وزيارته عليه السلام:

وفي حديث الإمام الباقر عليه السلام المتقدّم: (..فإن استطعت أن لا تنتشر يومك في حاجة فافعل، فإنّه يوم نحس لا تقضى فيه حاجة، وإن قضيت لم يبارك له فيها ولم ير رشداً، ولا تدّخرن لمنزلك شيئاً، فإنّه من ادّخر لمنزله شيئاً في ذلك اليوم لم يبارك له فيما يدّخره ولا يبارك له في أهله)[١٩].

عن جابر الجُعفيِّ قال: (دخلت على جعفر بن محمّد(عليهما السلام) في يوم عاشوراء فقال لي: هؤلاء زُوَّار الله وحَقٌّ على المزور أن يُكرِمَ الزّائر، مَن باتَ عند قبر الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء لقى الله ملطّخاً بدمه يوم القيامة كأنّما قُتل معه في عَرْصَته، وقال: مَن زار قبرَ الحسين عليه السلام ليوم عاشوراء وبات عنده كان كمن استشهد بين يديه)[٢٠].

---

(١٧) كامل الزيارات، ص ٣٢٤.

(١٨) المصدر نفسه، ٣٧٤.

(١٩) المصدر نفسه، ص ٣٢٦ -٣٢٧.

(٢٠) المصدر نفسه،

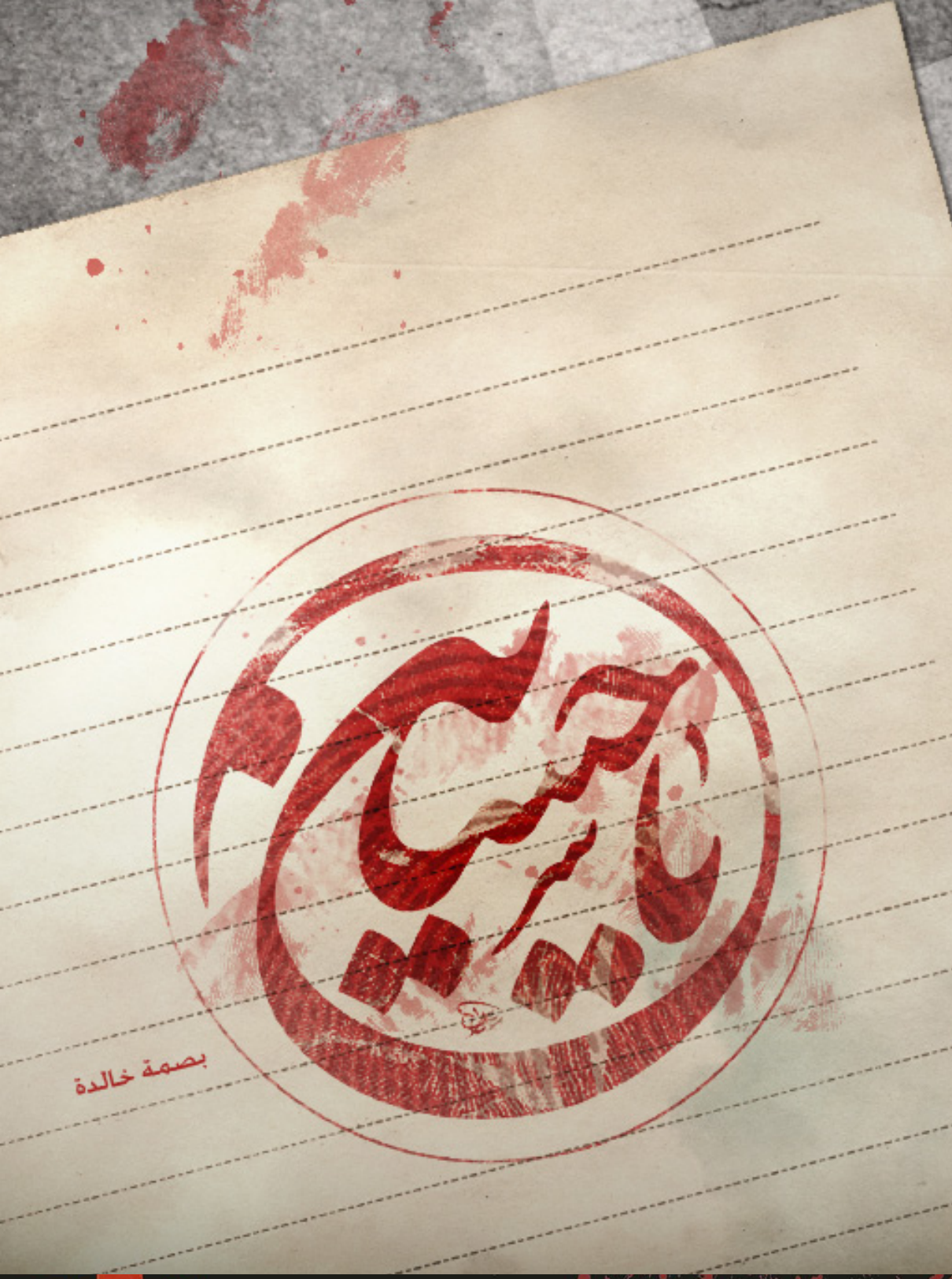
غامض
بصمة خالدة

مجتبى العلي / باحث اجتماعي

تاريخ العظماء لا يخلده ولا يبحث عنه إلا المجتمع الواعي بل ويسعى لنشر قيمه بين صفوف أبنائه؛ وذلك لأنه يؤمن بأن العظيم هو مصباح يستنار به في دياجي الظلام، وقد جادت واقعة عاشوراء بأروع الصور التي كانت وما تزال وستبقى تضيء الدرب لمن يريد أن يحصل على سعادة الدارين عبر تحقيق الرضا الإلهي ورضا أهل البيت(صلوات الله عليهم)، لذلك سنحاول في هذا البحث الموجز أن نسجل بعض تلك الصور التي نسعى لتطبيقها في حياتنا لا ذكرها فقط .

ما ننسى حسين

أوّلاً: الارتباط الدائم بالله(تعالى):

لو تأملنا في يوم عاشوراء، نجد أن الإمام الحسين عليه السلام ما برح يذكر الله سبحانه وتعالى في جميع الأحوال وفي أصعب الظروف، لقد طلب الإمام الحسين عليه السلام من أعدائه أن يمهلوه سواد ليلة عاشوراء لكي يتوجه إلى الله بالصلاة والدعاء وتلاوة القرآن الكريم، ولقد بات الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة ولهم دوي كدويّ النحل، فلم تمنعهم ملاقاة العدو الذي لا يرحم من التوجّه إلى الله تعالى.

ثانياً: الرفق والرحمة:

من الصور الرائعة التي تفيضها عاشوراء، الرأفة والرحمة وحفظ حقوق الإنسان كإنسان بغض النظر عن موقفنا منه، فعندما وصل جيش الحر الرياحي وكادوا أن يموتوا جميعاً من العطش، فما كان من سيد الشهداء عليه السلام إلا أن أمر بسقيهم الماء وخيولهم.

إنّه رحمة الله الواسعة فقد كان بإمكان الإمام عليه السلام وهم في هذه الحالة أن يتخلص منهم جميعاً ولا يلام على ذلك، فهم أعداؤه وجاءوا لقتاله، لكنه عليه السلام لم يتعامل معهم بالمقاييس السياسية والعسكرية المجردة عن القيم الربانية التي لا تعطي للإنسان قيمة.

ثالثاً: التسليم لأمر الله (سبحانه):

التسليم لأمر الله سبحانه وتعالى من الصفات البارزة عند سيد الشهداء عليه السلام في جميع المواطن التي مرَّت به، وإليك بعضها: حين قتل ولده علي الأكبر عليه السلام وأخوه أبو الفضل العباس عليه السلام وطفله الرضيع عبدالله عليه السلام وأهل بيته وأصحابه جميعاً، لم تصدر منه كلمة واحدة أو موقف واحد يدل على عدم الصبر، بل الرضى التام بقضاء الله وقدره، حتى أعداؤه قالوا فيه أنهم ما وجدوا رجلاً قتل أصحابه وأهل بيته أربط جأشاً منه، وهذه الصدّيقة زينب الكبرى(عليها السلام) بعد مقتل أخيها سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام تضع يدها تحت جسده الشريف وهي تقول: (اللهم تقبل منا هذا القربان).

رابعاً: الصلابة في الحقِّ:

أمّا الصلابة في الحق فهي من أبرز ذاتيّاته، فقد شقّ الطريق في صعوبة مذهلة لإقامة الحق، وقد تبنّى الإمام(عليه السّلام) الحقّ بجميع رحابه ومفاهيمه، واندفع إلى ساحات الجهاد ليقيم الحقّ في ربوع الأرض، وينقذ الأُمّة من التيّارات المنحرفة التي خلقت في أجوائها قواعد للباطل وخلايا للظلم، وأوكاراً للطغيان، تركتها تتردّى في مجاهل سحيقة من هذه الحياة .

فانبرى(عليه السّلام) إلى ميادين التضحية والفداء ليرفع راية الحق، وقد أعلن(عليه السّلام) هذا الهدف السامي في خطابه الذي ألقاه أمام أصحابه قائلاً: (ألا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه؟) ليرغّب المؤمنين في لقاء الله. لقد كان الحقّ من المفاهيم الوضّاءة في شخصية أبي الأحرار﵇ .

خامساً: الصبر:

لقد كان صبر سيّد الشهداء على نوائب الدنيا ومحن الأيّام فريداً، فقد تجرّع مرارة الصبر منذ أن كان طفلاً، فرزئ بجدّه وأُمّه، وشاهد الأحداث الرهيبة التي جرت على أبيه، وما عاناه من المحن والخطوب، وتجرّع مرارة الصبر في عهد أخيه، وهو ينظر إلى خذلان جيشه له وغدرهم به، حتّى أُرغم على الهدنة، وبقي معه يشاركه في محنه وآلامه، حتّى اغتاله معاوية بالسمّ، ورام أن يواري جثمانه بجوار جدّه فمنعه بنو أُميّة فكان ذلك من أشقّ المحن عليه .

ومن أعظم الرزايا التي صبر عليها أنّه كان يرى أولئك الطغاة يهدمون مبادئ الإسلام وما بناه جدّه المصطفى(صلى الله عليه وآله)، من الأحاديث المنكرة التي تغيّر وتبدّل شريعة الله، ومن المآسي التي عاناها أنّه كان يسمع سبّ أبيه على المنابر، وقيام الطاغية زياد بإبادة شيعتهم واستئصال محبّيهم، فصبر على كلّ هذه الرزايا والمصائب .

وترادفت عليه المحن في يوم العاشر من المحرم، فلم يكد ينتهي من محنة حتّى تحيط به مجموعة من الرزايا والآلام، فكان يقف على تلك البدور المضيئة من أبنائه وأهل بيته، وقد تناهبت السيوف والرماح أشلاءهم فيخاطبهم بكل طمأنينة وثبات: (صبراً يا أهل بيتي، صبراً يا بني عمومتي، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم) .

ومن المصائب التي صبر الإمام عليها، أنّه كان يرى أطفاله وعياله، وهم يضجّون من ألم الظمأ القاتل، ويستغيثون به من لهيب العطش، فكان يأمرهم بالصبر والاستقامة، ويخبرهم بالعاقبة الطيبة التي يؤول إليها أمرهم بعد هذه المحن .

وقد صبر على ملاقاة الأعداء الذين ملأت الأرض جموعهم المتدفّقة، وهو وحده يتلقّى الضرب والطعن من جميع الجهات، قد تفتّت كبده من العطش وهو غير حافل بذلك كلّه. لقد كان صبره وموقفه الصلب يوم الطفِّ من أندر ما عرفته الإنسانية، حقاً إنّ شجاعة الحسين(عليه السّلام) يُضرب بها المثل، وصبره في الحرب أعجز الأوائل والأواخر .

سادساً: قوّة الإرادة:

من النزعات الذاتية لأبي الشهداء(عليه السّلام) قوّة الإرادة، وصلابة العزم والتصميم، وقد ورث هذه الظاهرة الكريمة من جدّه الرسول(صلّى الله عليه وآله) الذي غيّر التاريخ، وقلب مفاهيم الحياة، ووقف صامداً وحده أمام القوى الهائلة التي هبّت لتمنعه من أن يقول كلمة الله، فلم يعن بها وراح يقول لعمّه أبي طالب مؤمن قريش: (والله، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتّى أموت أو يظهره الله).

بهذهِ الإرادة الجبارة قابل قوى الشرك، واستطاع أن يتغلّب على مجريات الأحداث، وكذلك وقف سِبطه العظيم في وجه الحكم الأُموي فأعلن بلا تردّد رفضه لبيعة يزيد، وانطلق مع قلّة الناصر إلى ساحات الجهاد ليرفع كلمة الحق، ويدحض كلمة الباطل،وقد

حشدت عليه الدولة الأُمويّة جيوشها الهائلة، فلم يحفل بها، وأعلن عن عزمه وتصميمه بكلمته الخالدة قائلاً: (لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برما) .

وانطلق مع الأُسرة الكريمة من أهل بيته وأصحابه إلى ميدان الشرف والمجد ليرفع راية الإسلام، ويحقّق للأُمّة الإسلامية أعظم الانتصارات والفتح حتّى استشهد(سلام الله عليه)، وهو من أقوى الناس إرادة، وأمضاهم عزيمة وتصميماً، غير حافل بما عاناه من الكوارث التي تذهل العقول وتحيّر الألباب .

سابعاً: الإباء عن الضيم:

لقد كانت هذه الصفة من الصفات البارزة في حياة الإمام الحسين(عليه السلام)، حتى لُقّب(عليه السلام) بـ(أَبيّ الضيم).

وهي من أكثر ألقابه(عليه السلام) ذيوعاً وانتشاراً بين الناس بعد لقب سيد الشهداء، فقد كان المَثَل الأعلى لهذه الصفة، فلم يخنع، ولم يخضع لطغاة بني أمية، فآثر(عليه السلام) الموت تحت ظِلال الأَسِنّة.

فقد علّم أبو عبدالله(عليه السلام) الناسَ شرف الإباء ونبل التضحية، وقد كانت كلماته(عليه السلام) يوم الطف من أروع ما أُثِرَ من الكلام العربي، في تصوير العِزة، والمنعة، والاعتداد بالنفس، فكان (عليه السلام) يقول: (أَلا وَإِنَّ الدَّعي ابنَ الدَّعي قَد رَكزَ بَينَ اثنَتَين، بَين السِّلَّة والذِّلَّة، وهَيهَات مِنَّا الذِّلَّة، يأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون، وحِجُور طَابَتْ وَطَهُرتْ، وأُنُوفٌ حَميّة، ونُفوسٌ أَبِيَّة، مِن أنْ نُؤثِر طَاعةَ اللِّئام عَلى مَصَارِعِ الكِرَام) .

السيد عبد الهادي علي /كاتب

بسم الله الرحمن الرحيم

(بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) سورة يونس: (٣٩).

التشكيك السلبي مرض يهاجم مركز التفكير في ذهن العاقل، ثم كنتيجة مباشرة لهذه الإصابة ينتج عنه تشويش في التصورات، وخلل في الإدراكات، فتختل لذلك أنماط التفكير السليم لديه.

وما إن يشرع المسلمون بمراسيم عاشوراء بذكرى استشهاد سبط رسول الله(صلى الله عليه وآله) حتى يترك البعض جميع أعمالهم ليستنفروا قواهم بصب التشكيكات حول أحداث ومراسيم عاشوراء لذلك سنحاول أن نبحث مرض التشكيك بصورة مستقلة ضمن ثلاثة محاور:

المحور الأول: الشك وأقسامه.

المحور الثاني: علامات المشكك.

المحور الثالث: كيفية التعامل مع المشكك.

المحور الأول: الشك وأقسامه.

تعددت كلمات العلماء في تعريف الشك فنجد للشك تعريفاً لغوياً وآخر منطقياً وآخر أصولياً... ولكن تلتقي كل التعريفات في معنى واحد هو: تردد الذهن بين أمرين على حدٍّ سواء لا يوجد تغليب لطرف على طرف آخر.

فعندما يتساوى أمران في ذهن الإنسان يتساوى طرفاه فيعبر عن هذه الحالة أنها حالة الشك. وأوضح مثال على ذلك حالة الشك التي تعتري المصلي في عدد الركعات، فقد يشك في الصلاة الرباعية بين الثلاث والأربع مثلا، فهو لا يعلم أنه في الثالثة أم في الرابعة؟ وحينئذ يتساوى الأمران لديه، فإذا لم يستطع أن يغلّب طرفاً على آخر يسمى بالشك المستقر، أما إذا تمهل ثم فكر وحاول أن يرجح فرجح الثلاث مثلا فهذا لا يعد شكاً.

وحالة الشك تلف الإنسان ليس في الصلاة فقط بل في مجمل أفعاله وأقواله فربما يشك أنه فعل أم لم يفعل؟ صنع ذلك الشيء أم لم يصنع؟ قال هذه الكلمة أم لم يقلها؟.

أحياناً يطرأ هذا الوضع على الإنسان لكنها حالة طارئة وليست طبيعية، يقول العلماء المختصون: إن غلَب الشك على الإنسان في كل الأمور تحول من حالة طبيعية تطرأ على الذهن إلى حالة مرضية ربما تتطور لتتعدى من دائرة أفعاله الشخصية لتدخل في دائرة الآخرين فيبدأ يشك حتى في أفعال الآخرين، وهذا دليل على تحول الشك إلى حالة

مرضية تحتاج إلى علاج.

وأدهى وأسوء صنوف الشك أن يصل الشك لدى الانسان إلى دوائر مقدسة كالمسائل العقائدية والثوابت والمسلمات الدينية التي تشكل القاعدة الأساس لدى الانسان في تحركاته وسلوكياته ورؤاه، فينتج عن ذلك حبط الإيمان والعمل وهذه الحالة هي التي عناها أمير المؤمنين﵇ في قوله: (الشك يحبط الإيمان)[1] إن إصابة الشك للبنية العقائدية معناها المصيبة العظمى كما ورد في نصوص أهل البيت(عليهم السلام)، حيث ورد في الدعاء عن المعصومين(عليهم السلام) قولهم: (اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا)، ربما يصاب الإنسان في أمواله فتعوض وربما يصاب ببعض الخسائر في جسده فيعالج الجسد لكن عندما تصاب عقيدة الإنسان فأحياناً لا يستطيع أن يعوض ما خسره، ولذلك أصبح موضوع التشكيك من المواضيع المهمة في جميع المجتمعات، ويجب ان يناقش بين الحين والآخر، ويشخص فيها الداء ومن ثم استخلاص العلاجات.

ويمكننا أن نقسم الشك إلى ثلاثة اقسام:

- **الشك العلمي.**
- **الشك النفسي.**
- **الشك التسويقي.**

القسم الأول الشك العلمي: وكمثال على ذلك ما يكون في الأعم الأغلب بين علماء الفقه، فالعالم أحياناً يواجه مسألة من المسائل ولا يجد لها دليلاً واضحاً، فلا يدري هل أن التكليف موجه إليه أو غير موجه؟، فيتردد إذا لم يصل إلى درجة الوضوح، وهذا

(١) ميزان الحكمة – الريشهري / ج٥ – ص٩٩.

التردد منشأه ليس عقدة نفسية او منشأه جهل؛ لأنه يعلم أن كل حكم لا يثبت إلا بالدليل وحيث انه رجع إلى الدليل فوجده غير واضح فيتردد في اثبات هذا الحكم، ومن هنا قيل أن هذه الحالة التي ترد في أذهان العلماء شكاً علمياً تدفع العالم إلى البحث أكثر والتقصي أكثر حتى يصل إلى درجة الوضوح في ذلك الحكم.

إن الانسان اذا اشتبهت عليه الأمور فعليه أن يتوقف، وأن يحذر ولا يقحم نفسه في استصدار أحكام ليس لها حجة واضحة، ولهذا ترى بعض العلماء عنده مسألة من المسائل وجوبية، وهذا العالم يقول: أنا احتاط؛ لأن المسألة لم يبلغ دليلها عنده إلى درجة الوضوح حتى يفتي.

هنالك فرق بين التساؤل وبين الشك، فأحياناً الإنسان مؤمن بالعقيدة لكنه يتساءل هل من دليل استوثق به ما لدي من عقيدة، وهذا التساؤل ليس ممنوعاً، من حق اي شخص أن يتساءل للاستيضاح طلباً للحجة وتقويةً للمسألة أو العقيدة التي لديه، بعكس ما لو قال هذا المعتقد: أنا لا أؤمن به، واشك في أصل ثبوته، فهذا ما يسمى بالشك، وعلى ذلك لا بد أن نميز حتى لا نقع في أخطاء ونصنف الناس في تصنيفات ربما لا تكون دقيقة وحتى لا نغلق باب البحث لشبابنا وجيل العصر.

إن التساؤل ليس محرماً لكن إذا انطلق لأجل الاستيضاح واستفهام وطلب الحقيقة، اما الذي ينطلق من حكم يتصف بالإنكار مسبقاً فهذا يمثل مشكلة.

القسم الثاني: الشك النفسي: وهذا ليس منشأه العلم وإنما منشأه الشيطان والوسوسة وهو ما يعبر عنه بالوسواس في المصطلح الفقهي، والعلماء يفتون أن الوسواسي عليه أن يبني في أعماله على الصحة، وأن يعمل خلاف الشك حتى يضعف ويتخلص من هذه المشكلة.

ربما يكون منشأ هذا القسم الجهل في الأحكام الشرعية في البداية ثم بعد ذلك تتطور، أو منشأه تصورات لدى الانسان بسبب الفهم الخاطئ للأحكام الشرعية.

القسم الثالث: الشك التسويقي: وهو عبارة عن صناعة التردد أو الشك من لا شيء أي تعمد لصناعة الشك والتردد، ومن ثم تسويقه وبثه ونشره بين الناس، وهذه في الحقيقة من أكبر المصائب التي تعاني منها مجتمعات كثيرة..

ظاهرة التشكيك ليست منحصرة في القضايا الدينية بل تجدها في دوائر كثيرة، وقد اصبحت هذه الآفة حرفة وصنعة، وأداة من أدوات المواجهة بين المذاهب والفئات والفرق، هدفها زعزعة الآخرين عن عقائدهم، أو قد تكون سبيلاً لجني الأموال في بعض الأحيان.

والواقع أن مسألة التشكيك ليست مسألة جديدة بل هي مسألة عانى منها المسلمون أشد المعاناة.

المحور الثاني: علامات المشكك.

- العلامة الاولى: ان الشخص المشكك يلقي شكوكه أمام عوام الناس، ولا يلقي هذه التساؤلات على أهل الاختصاص، ويترك الناس في هرج ومرج، مع أن المفروض إذا كان هدف الانسان ان يبحث عن مسألة بحثاً علمياً، ويريد أن يوصل الناس الى حقيقة ما، لا يأتي ويتكلم أمام عوام الناس.

تصور لو ان طبيباً مرموقاً خرج على القنوات الفضائية وأخذ يتحدث عن عقار جديد مطروح في السوق، وقال أنا عندي مجموعة من التساؤلات عن هذا الدواء، وأخذ يبدي تساؤلاته وتحفظاته وشكوكه حول كفاءة هذا الدواء، ثم قال في نهاية الأمر: أنا لا أستطيع ان أثبت لكم ايها الناس كفاءة هذا الدواء.

هل سيأخذ عامة الناس الدواء؟ الجواب: لا.. لا أحد من الناس يأخذ الدواء، مع انه لو ألقى هذه التساؤلات أمام اهل الاختصاص لقالوا كل كلامك مردود عليك وردوا

عن كل اشكالاته.

- العلامة الثانية: إن المشكك مع قيام الحجة والدليل والبراهين يبقى مستمراً في طرح هذه التساؤلات، ولو كان هدفه الوصول للحقيقة لاكتفى بها وأعلن وتراجع عن هذه القضية.
- العلامة الثالثة: يسعى المشكك للطعن والتوهين في المصادر التي يتلقى منها الناس دينهم ومعارفهم وطريقة تفكيرهم وهم العلماء، عندما يهون العلماء في نظر الناس تسقط قيمتهم أمام الناس ومن ثم يضعفون علاقة المجتمع بالعلماء فلا يفزعون اليهم ويطرقون بابهم فيخلو الجو للمشكك ان يصوغ افكار الناس كيفما يشاء، فاذا وجدنا شخصاً بهذه العلامات وبهذه الصفات فلنضع عليه علامة استفهام في قبول أي كلمة يقولها.

المحور الثالث: كيفية التعامل مع المشكك.

هنالك مجموعة من القواعد لا بد من أن نطبقها مع المشكك أهمها:

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإيصال الحق اليه، وعدم مجاملته أو تعظيمه بين الناس، عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: "من مشى إلى صاحب بدعة فوقره فقد مشى في هدم الإسلام" بحار الأنوار / جزء ٢ / صفحة [٣٠٤]. فإيصال الحق أول خطوة ينبغي القيام بها، واذا اصر على هذه التشكيكات التي لا منشأ لها مع وضوح الدليل والحجج فالروايات تحذر من الجلوس الى جانبه، ولعل ذلك هو نوع من الضغط عليه اجتماعياً حتى لا يبقى ينخر في جسد المجتمع ويفتت من صلابة عقيدة الناس.
- التصدي وإظهار العلم كل بحسب قدارته، لدينا الكثير من الكفاءات والطاقات حتى في مجال العلوم الطبيعية تقع عليهم المسؤولية فلابد ان يكتبوا ويبينوا ويفسروا ويظهروا الحق ويواجهوا التشكيكات والمشككين، قال النبي الاكرم(صلى الله عليه وآله): (اذا ظهرت

البدع فعلى العالم ان يظهر علمه فإن لم يفعل سُلب نور الإيمان)بحار الأنوار، ٤٨، ٢٥٢.

الشك الإيجابي هو في الحقيقة منهج علمي، وبه تطورت العلوم ومناهج العلم، واصبح العلم يقفز قفزات نوعية اذا كان ينطلق من الرغبة في الوصول الى الحقيقة، وهذا مما يشجع عليه ضمن المعايير العلمية ومناهج البحث العلمي.

محمد رضا الأسدي / بكالوريوس لغة عربية

بعض الحوادث التي تقع في التأريخ الإسلامي لم تكن محض صدفة بل حدثت وفق تخطيط معين لأهداف سامية، تهدف إلى إحقاق الحق ومحاربة الظلم والباطل وفيها نصرة للإسلام المحمدي والشريعة الإلهية التي جاء من أجلها النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله)، وقد يضحي الإنسان فيها بالنفس والمال والأهل في سبيل الله تعالى، وأعظم تضحية قُدمت وبقت خالدة على مرِّ العصور

وستبقى إلى أبد الدهر هي التي قام بها سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام تلبية لنداء الحق، لا لأجل سلطة ولا جاه وهو القائل: (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنّما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي(صلى الله عليه وآله)، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر...)(١).

وقد شغلت هذه الثورة العظيمة جلّ من اطلع على مجريات أمورها فكانت موضعاً لتساؤلات عديدة، ومن تلك التساؤلات لماذا اختار الإمام الحسين عليه السلام كربلاء من حيث الزمان والمكان والمأساة؟.

اختيار الزمان والمكان:

إن اختيار الإمام الحسين عليه السلام شهر محرم الحرام دون غيره من الأمور المهمة في ثورة سيد الشهداء عليه السلام والتي تعكس لنا الأفق الواسع للمعصوم، وهو: أن يكون مطلعُ وبدايةُ السنة الهجرية عند الأمة الإسلامية يبتدئ بواقعة الطف التي خلدت ذكرى أليمة بتفاصيلها المأساوية، فيكون اسم الإمام الحسين عليه السلام ونهجه ومواقفه بداية كل عام هجري يطلّ على المسلمين، وهذا بحدِّ ذاته يعني تذكير الأمة الإسلامية بأعظم ثورة وأصدق نهج وأفضل سبيل لها تنهجه كلما ابتُليت براعٍ مثل يزيد.

ولم تكن الظروف وتسارع الأحداث هي التي اضطرت إلى التحارب في ذلك الوقت دون غيرها، وإنّما الإمام الحسين عليه السلام هو الذي سعى الى توقيت المعركة في ذلك اليوم من الشهر الحرام إذ كان باستطاعته أن يؤخر نفسه في مكة أو المدينة ولكنه حثّ الخطى ليصل الى كربلاء في ذلك الوقت.

كذلك في اختيار المكان وهي أرض (كربلاء) كان ضمن تخطيط إلهي مسبق أتَمَّهُ الله

تعالى على يد الإمام الحسين عليه السلام، وكان عليه السلام في كامل اختياره لتنفيذ هذا التخطيط الإلهي وتفعيل الإرادة الربَّانية، وقد أشار سيد الشهداء عليه السلام في كلامه لمصرعه في هذه الأرض بقوله: (كأني بأوصالي هذه تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء)(٢)

السؤال يطرح نفسه لماذا كربلاء دون غيرها؟

والجواب: إن كربلاء من الناحية التاريخية كانت من أماكن العبادة والتبتّل ولم تكن بقعة عادية، وإنما كانت منذ القدم مشهورة بأنها أرض عبادة وهذا ما أوضحته فاطمة الصغرى بنت الإمام الحسين عليه السلام في خطبتها في الكوفة حيث قالت: (اللهم إني أعوذ بك أن أفتري عليك الكذب، وأن أقول عليك خلاف ما أنزلت من أخذ العهود لوصيه علي بن أبي طالب: المسلوب حقه، المقتول من غير ذنب كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله تعالى)(٣)، إنها تقول إن كربلاء بيتٌ من بيوت الله تعالى، إذن فالإمام الحسين عليه السلام قَصَد بقعة طاهرة.

وورد عن مولانا الإمام السجّاد(صلوات الله عليه) في حديث أُمّ أيمن ما قاله جبرئيل عليه السلام لرسول الله(صلى الله عليه وآله) عن شهادة ولده الحسين عليه السلام بأرض تدعى كربلاء قائلاً: (وإن سبطك هذا -وأومأ بيده الى الحسين عليه السلام- مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك وأخيار من أمتك بضفة الفرات بأرض يقال لها: كربلاء، من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريتك في اليوم الذي لا ينقضي كربه ولا تفنى حسرته، وهي أطيب بقاع الأرض وأعظمها حرمة، وإنها من بطحاء الجنة)(٤).

فعندما يختار الإمام الحسين عليه السلام أرضاً مثل كربلاء ويتخذها منطلقاً لنهضته ومحلاً لقبره الطاهر، عندها لا يبْقى مجال للسؤال عن سبب اختيار الإمام الحسين عليه السلام لأرض

كربلاء، وهو العالم بشرافتها وقداستها وقد تشرفت بدمه الطاهر وبمرقده الشريف.

الهدف الجهادي:

ففي هذه الأرض المباركة انطلقت الثورة المباركة التي أراد الإمام أن يزيل من خلالها الغبار الذي أعمى أعين الناس، ويوقظهم من السبات العميق الذي كان يضرب بأقدامه في عمق المجتمع، لقد حقق الإمام عليه السلام الهدف الذي لا يمكن تحقيقه في ذلك الوقت عن طريق الخطب والكلمات والنصائح، إذ لابد من هزة قوية تبعث الحياة فيهم، عن طريق هدم النظام القائم وهدم الشخصية التي صارت جزءاً من شخصية الإنسان المسلم في ذلك العصر، فاقتضت الضرورة لإحداث شرخٍ كبير في الأوضاع التي كانت قائمة، وهذا الشرخ كان بحاجة الى عملية تضحوية ضخمة من النوع الذي قام به. ففي تلك الأوضاع قام بعملية عنيفة وسريعة ومأساوية، سينام الناس فيها ليستيقظوا في النهار وهم يتساءلون: عن الذي حدث وكيف؟ ومن اشترك في الذي حصل؟ ولماذا الجريمة؟ وما الأسباب؟ أسئلة تدعوهم إلى كشف الحقيقة وهي بدورها تخلق ضجة وثورة على الباطل تبقى إلى أبد الدهر.

ومن هنا يُبدِّلون واقعهم بعد إعادة النظر في مجمل العلاقات القائمة، فالمجتمع قد ينام بفعل إرهاب أو إغراء ويغفل عن رؤية الحق، ولكنه يستيقظ إثر حادث مروّع يبدأ بعملية فقد ذاتي ووخز عميق في وعي الناس. فكيف يمكن للمجتمع أن يعرف أنه ارتكب بقتل الإمام جريمة كبيرة؟ إن العملية بحاجة الى عنصرين:

الأول: عنصر العلم بالجريمة:

كان لابد أن تنفجر المعركة على أرض العراق وفي أقرب مكان من الكوفة باعتبارها

منطقة وسط بين الشام والحجاز لكي تحدث ردّة الفعل المطلوبة في كل أرجاء العالم الإسلامي؛ ذلك لأن العاصمة عندما انتقلت في زمن معاوية من المدينة إلى الشام فقدت الحجاز قيمتها الاستراتيجية فلم يعد الناس يتابعون أخبارها ويخضعون للمتطورات فيها، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الكوفة كانت مركز الذين عاشوا مدة مع الإمام علي عليه السلام وقاتلوا في صفوفه كثيراً فالعملية لدى هؤلاء كانت متقنة الوقوع على العكس من أهل الحجاز.

ومعاوية استطاع أن يرسم في عقول الشاميين صورة مغايرة عن منهج وخلق وصفات أهل البيت(عليهم السلام)، ولذلك فان المجتمع الشامي عندما سمع خبر استشهاد الإمام علي عليه السلام في المحراب كانوا يتساءلون: وهل كان يصلّي علي عليه السلام؟

ومن أجل ذلك فإن أهل العراق كانوا أقرب إلى تقبّل الثورة وتفسيرها، بل أنهم كانوا يحسون بضرورتها وكاتبوا الإمام الحسين عليه السلام بمكاتباتٍ ما مضمونُها: (أنه ليس علينا إمام غيرك فأقبِل لعلّ الله يجمعنا بك على الحق).

إنّ ابن زياد جند لحرب الإمام بناء على بعض الأقوال قرابة نصف مليون مقاتل؛ ليس لأنه كان يخشى انتصار الإمام ولكن من أجل أن يشترك أكبر عدد ممكن من أهل العراق في قتله، حتى لا يجدوا مبرراً للقيام ضد السلطات بحجة قتل الإمام.

وقد ساهم الجلاد في نشر قضية التضحية، فقد ساعد ابن زياد من حيث لا يعرف ولا يدري في نشر قضية الثورة، ومن هنا نستطيع أن نعرف السبب الذي كان وراء أكثر الخطب من قبل رجال الإمام والتحدث عن مساوئ النظام وأسسه ومنطلقاته وزيفه، وأسباب الثورة ونتائج متابعة النظام والانسياق الأعمى خلفه، كأن الإمام عليه السلام أراد من

منطلق هذه الثورة أن يضع قائمة بالأوضاع الشاذة التي تجب معها الثورة في أي زمان وأي وقت.

الثاني: العنصر المأساوي:

أراد الإمام الحسين عليه السلام للثورة أن تأتي مصبوغة بالحزن والمأساة، كل ذلك كان يصفه من أجل إذكاء عنصر المأساة في قضيته؛ ليس لأنه كان يستهدف المأساة، فليس هناك إنسان عاقل يريد المأساة لنفسه ولكن لكي تكون المأساة (سوراً) عاطفياً متيناً يحافظ على سخونة القضية، ويضفي عليها طابعاً دموياً يحرك العواطف الصادقة في الإنسان، ويدفعه لمعرفة أهداف الثورة، وطريقة صنعها.

هذا السبب كان دافعا لقيام كثير من الثورات جاءت بعد واقعة الطف سائرة على خطى النهضة الحسينية واقفة بوجه الظلم والاضطهاد من مثل: (ثورة التوابين) و(ثورة المدينة) و(ثورة المختار) و(ثورة زيد بن علي) وغيرها، وإلى الآن أصبح الإمام الحسين عليه السلام وثورته في كل معطياتها مدرسة شامخة تمثل مصدر اشعاعٍ لكل الأحرار في العالم.

لقد استطاع الإمام عليه السلام بهذه العناصر أن يشعل نار الثورة ضد الظلم والطغيان، بنشاط وتضحية في سبيل الحق وكانت هذه العناصر مرافقة للإمام عليه السلام منذ أول لحظة خروجه الى كربلاء.

الهوامش:

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩ .

(٢) الخصائص الحسينية: ج١٢، ص٤ .

(٣) بحار الأنوار : ج٤٥، باب ٣٨، ص ١١٠ .

(٤) كامل الزيارات: ج١، ٤١٣ .

يا حسين
يا مظلوم
يا غريب

حيدر مرتضى علي / كاتب وصحفي

هل تتصور معي ما قد يحدث عندما تفقد السفينة بوصلتها، أو عندما تعتلّ قوقعة الإذن الوسطى عند الإنسان كيف أنه يتخبط ويترنح، هل تعلم ما قد يحدث عندما تفقد الطيور قدرتها على استشعار المجال المغناطيسي الذي يحدد اتجاهها وحركتها، وهل يمكنك أن تدرك الكارثة التي قد تحصل لنملة عندما تفقد قدرتها على متابعة طريقها وشمّ الطريق خلف النملات الأخرى؟

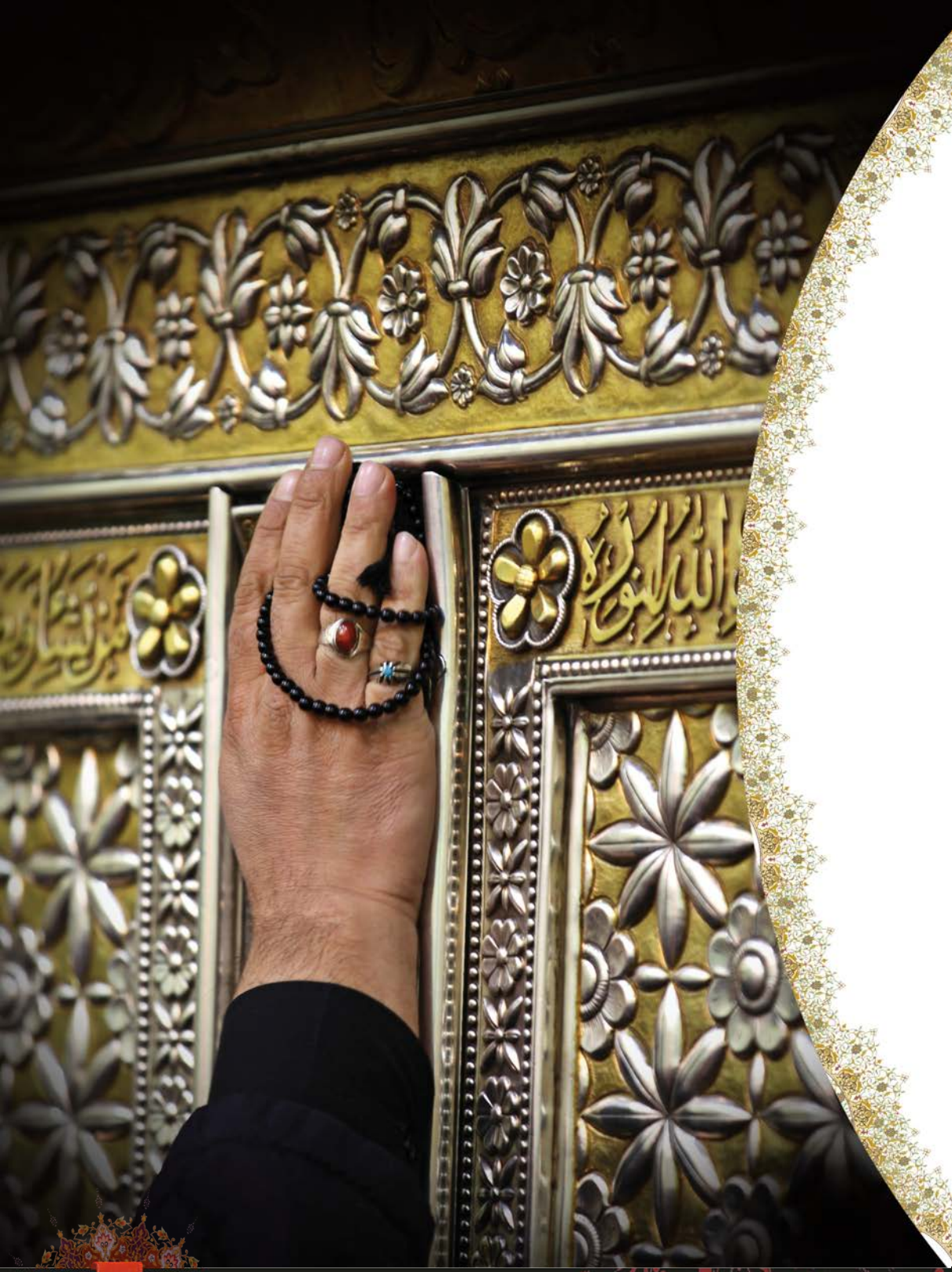

التيه والتخبط والمجهول، هذا ما ينتظر "الفرد أو المجتمع" عندما يفقد القدرة على تحديد اتجاه سيرِهِ، وعندما تختل عندهُ معايير "الصواب والخطأ"، فتراه يقع في مستنقعات الظلم والابتعاد عن الحق والوهم وغيرها.. هذا ما يحدث عندما تفقد بوصلتك.

يُنقل إن موسيليني الرئيس الإيطالي إبان الحرب العالمية الثانية قال: "لقد عدلتُ في الناس حتى باتت الحكومات الظالمة تخشاني". فموسيليني هذا الذي تسبب بقتل وذبح الملايين من أبناء شعبه، يعتقد أن حرب الحلفاء ضده كانت بسبب خشيتهم من عدله، وليس بسبب دمويته وبطشه، وطموحه باستعباد العالم.

وقد وصف القرآن الكريم هذه الظاهرة الخطيرة بقوله:" وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمْ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ"

البقرة: ١١-١٢.

حيث يعبّر القرآن عما يحدث بـ"الفساد"، وهو خلاصة لما قد يحدث عندما يفقد الفرد أو المجتمع معايير "الصواب والخطأ"، فيبدأ ذلك المجتمع برفع الدنيء، وتبجيل الطاغية، ونصرة الظالم، وهو يظن أنه يتقرب إلى الله زلفى؛ وعند هذه النقطة تبدأ إنسانية المجتمع بالتدهور، ويكون تقدمه باتجاه الخلف ويصبح بحاجة ماسة إلى هزة عنيفة تعيده إلى وعيه الإنساني، وتعيد الأمور إلى نصابها.

هذا كلهُ.. ما وصلت إليه الأحداث سنة ٦١هـ، عندما تلبست قوى الظلام بلباس التقوى، وارتقت منبر الرسول(صلى الله عليه وآله)، لتمرر مخططاتها الجاهلية؛ ولتسحق الإنسانية تحت وطأة شهواتها الشيطانية وبغطاء منطقها الأجوف وكلماتها المعسولة..

ومما ساعد بتمرير ذلك المخطط على المجتمع، هو بساطة وسذاجة وجهل فئة

كبيرة منهم، أو لنقل لغياب معايير "الخطأ والصواب"وفقدانهم لمقدرتهم على الرؤية والتشخيص، لهذا صافحوا تلك الطغم الفاسدة وبايعوها (وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)الكهف/ ١٠٤.

الحسين عليه السلام -ومن منطلق مسؤوليته الإلهية- كان يرى آنذاك ضرورة قيامه لتصحيح ذلك الوضع الخطير، من خلال هزّ المجتمع بصاعقة، تعيده إلى وعيه ورشاده؛ ولو كلّفه ذلك حياته وأهل بيته وأصحابه..

على أن تلك الصعقة لم تكن لذلك الزمان فقط، وفي تلك البقعة بالذات، بل أصبح سبط الرسول مناراً ومعياراً يستطيع من خلاله الفرد أو المجتمع تحديد الصواب والخطأ على امتداد الزمان.

لهذا كان حكام الضلال وجبابرته وعلى امتداد تاريخهم يعادون الحسين عليه السلام حتى وهو في قبره، لماذا؟ لأنه يفضح ويكشف ويُفشل مخططاتهم في استعباد الشعوب، كما كان في الماضي هو اليوم كذلك وسيبقى في المستقبل.

صباح الصافي / باحث اسلامي

عن أبي عبدالله (عليه السلام) : " من ذكرنا عنده ففاضت عيناه حرَّم الله وجهه على النار".[1].

من المشاكل التي تقع عائقاً أمام تقدم الإنسان، أنه يقيس المعادلات الإلهية بمقاييسه المادِّية. كما أنه لا يعرف كيفية الارتباط بين فعله والجزاء الالهي، وكل ما يعرفه عن الجزاء هو متمثلٌ في قوله تعالى:(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)[2] لكن أي عمل هو الأفضل جزاء عند الله سبحانه، هل هو الأطول زماناً؟ أو الأكثر كلفة؟ أو الأصدق نية أو غير ذلك؟.

(١) بحار الأنوار،٢٨٤،٤٤ ـ ٢٨٥.

(٢) سورة الزلزلة: الآية ٧،٨.

فقد نرى في بعض الأحيان أنَّ عملاً لا يستغرق سوى وقت قصير ومع ذلك يترتب عليه ذلك الثواب العظيم، فنحن لا نعرف ذلك إلّا من خلال الإخبار الإلهي بواسطة الوحي.

ولذلك يتعجب الإنسان من بعض الروايات؛ لأنها تأتي في سياقٍ خارج مقاييسه، فهو محدود وهي لا حدود لها، وهو بخيل وهي في نهاية الكرم.. ومن جهة أخرى هو لا يستطيع إدراك قيمة هذه الأمور عند الله سبحانه وتعالى..

وروايات البكاء وذرف الدموع على مصيبة سيد الشهداء عليه السلام من القضايا التي كانت محلاً لقياس الإنسان المادي فخسر ثمارها، لذلك سنحاول توضيح هذا الموضوع من خلال ثلاثة محاور:

المحور الأول: مشروعية البكاء على الإمام الحسين عليه السلام.

المحور الثاني: درجات وفضل البكاء.

المحور الثالث: خصوصيات البكاء على الحسين عليه السلام.

المحور الأول: مشروعية البكاء على الإمام الحسين عليه السلام

يتصور البعض أن بكاء الشيعة على سيد الشهداء عليه السلام مجرد عادة موروثة من آبائهم وأجدادهم، فهي مجرد طقس وعادة اعتادوها، وليس لها أيُّ جذر في الشرع والعقل.

والواقع أن هذا التصور لا يمتّ للحق والصواب بصلة، بل أن شيعة أهل البيت تعتقد أنّ البكاء على الإمام الحسين عليه السلام له جذوره الشرعية في القرآن الكريم وسُنّة الرسول الأعظم محمد(صلى الله عليه وآله).

وحتى نقترب أكثر من معرفة أهداف وقيمة البكاء، يستحسن بنا المرور وبشيء من التأمل على تجربة البكاء عند نبيّ الله يعقوب عليه السلام، فهي صورة واضحة لما نريد التوصل إليه تماماً.. يقول تعالى في هذا الشأن: (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[1] إن هذه الآيات تبين بالتفصيل مستوى ذلك البكاء وحجم الحزن الذي سيطر على يعقوب عليه السلام.. إذ ابيضّت عيناه من البكاء، أي أصيب بالعمى، وقد رافق ذلك البكاء حزن طويل (فهو كظيم)، أي مليء من الهم والحزن ممسك للغيظ لا يشكوه لأهل زمانه ولا يظهره بلسانه.

وقد بلغ من حزنه وبكائه أن المحيطين به ضاقوا به ذرعاً، فقالوا لا تزال تذكر يوسف (حتى تكون حرضاً) فاسد العقل أو مشارفاً على الموت، (أو تكون من الهالكين) الميتين.. وإنما قالوا ذلك لتبرمهم من بكائه أو لإشفاقهم عليه، وهذا يعني أنه عليه السلام صنع قضية من خلال بكائه على ابنه.

والملفت للانتباه هنا أن يعقوب عليه السلام كان يعلم بأن يوسف عليه السلام على قيد الحياة، ومع ذلك بكى هذا البكاء الطويل والمر.. فإذا كان نبي الله يعقوب عليه السلام عكف على هذا المستوى من البكاء مع أنه يعلم بوجود ابنه وأنه سيعود إليه، فلابد أن يكون هناك سبب لذلك.. وفعلاً كان هناك سبب مهم بينته الآيات في صدر سورة يوسف عليه السلام، وهو الذي جاء على لسان أبناء يعقوب (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ....)

إن أخوة يوسف لما رأوا اهتمام أبيهم به، تآمروا عليه بهدف محو اسمه من ذاكرة أبيه بأي طريقة، إما عبر القتل (اقْتُلُوا يُوسُفَ) أو تغييبه في أرض لا يقدر معه العود إلى

(١) سورة يوسف: الآيات ٨٤، ٨٥، ٨٦.

بيت أبيه (أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا).. فكلمة يخل في قوله تعالى (يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ) يستفاد منها أنهم كانوا يطمحون إلى إلغاء شخصية يوسف ونسفها من حياة يعقوب عليه السلام ليصفو لهم الجو، لكن حين أكثر يعقوب من البكاء على ابنه مدة عشرين سنة أفشل مؤامرتهم وحافظ على ذكر يوسف، بل تعاظم ذكره في الآفاق؛ لأنه صنع من اختفائه حدثاً عظيماً عبر البكاء.

إنّ هذا تماماً ما نعنيه من الفلسفة الاجتماعية للبكاء، وهو أيضاً ما ينطبق على بكائنا على الحسين عليه السلام، إذ أن القوى المعادية للحسين عليه السلام كانت وما تزال تهدف إلى طمس ذكر أهل البيت(عليهم السلام)، وكان البكاء هو الوسيلة المناسبة التي تحافظ على هذا الذكر عبر الأجيال، فهو أشبه بتحد لتلك القوى وإصرار على التمسك بحبل أهل البيت(عليهم السلام) وبقضيتهم مهما طال الزمان... ولهذا أكد الأئمة(عليهم السلام) على البكاء والتباكي على الحسين عليه السلام بلا انقطاع [٢]. هذا من جانب ومن جانب آخر فإن جميع المسلمين يتفقون على مجموعة من المصادر في التشريع، ومن بين هذه المصادر فعل رسول الله(صلى الله عليه وآله) وتقريره، فعندما يفعل رسول الله(صلى الله عليه وآله) فعلاً فذلك الفعل مشروع يأخذ مشروعيته من فعل رسول الله(صلى الله عليه وآله).

نأتي للبكاء على الحسين عليه السلام هل هو عادة في إطار المذهب الشيعي أم أنه سنة مستمدة من فعل رسول الله(صلى الله عليه وآله)؟. وإذا ثبت ذلك يتحول البكاء من مجرد عادة وطقس انحصرت إعلامياً وتنظيراً في إطار الشيعة الى حقيقة إسلامية يجب على المسلمين جميعاً أن يعظموها ويستثمروها.

---

(٢) ينظر(تأملات قرآنية في مضامين الحزن والبكاء).

ذكرت مصادر العامة والخاصة أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) بكى على ريحانته سيد الشهداء عليه السلام وفيما يأتي ذكر لبعض ما روي في كتب العامة:

روى أحمد بن حنبل من حديث الإمام علي عليه السلام، بالإسناد إلى عبدالله بن نجا عن أبيه: أنه سار مع عليّ عليه السلام، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين، نادى: "صبراً أبا عبدالله، صبراً أبا عبدالله بشط الفرات"، قال: قلت: وما ذاك؟ قال: "دخلت على رسول الله(صلى الله عليه وآله) ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبي الله، ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: قام من عندي جبرئيل، فحدثني أن ولدي الحسين يقتل بشط الفرات، قال: فقال: هل لك إلى أن أشمّك من تربته؟ قال: قلت: نعم، فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني إن فاضتا[٣]" .

وأخرج ابن سعد كما في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر من الصواعق المحرقة لابن حجر-عن الشعبي، قال: "مرّ علي(رضي الله عنه) بكربلاء عند مسيره إلى صفين، وحاذى نينوى، فوقف وسأل عن اسم الارض؟ فقيل: كربلاء، فبكى حتى بلّ الأرض من دموعه، ثم قال: "دخلت على رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك بأبي أنت وأمي؟ قال: كان عندي جبرائيل آنفاً، وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات، بموضع يقال له كربلاء[٤]..." .

ومن حديث أم سلمة قالت: كان عندي النبي(صلى الله عليه وآله)، ومعي الحسين،

(٣) الصواعق المحرقة ٢ / ٥٦٦. وراجع أيضاً: مسند أبي يعلى (٣٦٣)، والذخائر للمحب الطبري: ١٤٨، المعجم الكبير: (٢٨١١)، مجمع الزوائد ٩ / ١٨٧ وقال: رجاله ثقات، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٨٨.

(٤) الصواعق المحرقة ٢ / ٥٦٦. وراجع أيضاً: المعجم الكبير للطبراني (٢٨١١)، مجمع الزوائد ٩/ ١٨٧ .

فدنا من النبي(صلى الله عليه وآله)، فأخذته، فبكى، فتركته، فدنا منه، فأخذته، فبكى، فتركته، فقال له جبرئيل: أتحبه يا محمد؟ قال: "نعم"، قال: أما إنّ أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك الأرض التي يقتل بها، فبكى النبي(صلى الله عليه وآله) [٥].

وأخرج الترمذي: أنّ أم سلمة رأت النبي(صلى الله عليه وآله) -فيما يراه النائم- باكياً، وبرأسه ولحيته التراب، فسألته؟ فقال: " قتل الحسين آنفاً"[٦].

فيتبيَّن من ذلك أن البكاء على الحسين عليه السلام ليست مجرد عادة أو انفعال عاطفي كما يتصور البعض، بل هو إحدى سنن رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وقد مارسها بنفسه(صلوات الله عليه وآله) ودعا إليها من خلال فعله.

وبعد هذه الأدلة يطرح هذا السؤال: من هو المسؤول عن تغييب هذه الحقائق عن المسلمين؟ ومن الذي صور للمسلمين أن البكاء على الحسين غير مشروع؟ وأنها مجرد عادة وطقس اعتاده الشيعة من منشأ عاطفي وغلوٍّ في حب أهل البيت(عليهم السلام)؟ من هو المسؤول عن تأطير هذا السلوك المتصل بفعل رسول الله في حدود الشيعة؟..

أليس من الأوْلى أن يشاطر عموم المسلمين الشيعة في بكائهم على الحسين؟ لماذا يَحرِم البعضُ جميعَ المسلمين من المذاهب الأخرى من بركات الاقتداء برسول الله(صلى الله عليه وآله) في البكاء على سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام؟ ألم يقل الله تبارك وتعالى:(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)[٧].

إنَّ البكاء على الحسين عليه السلام فعل عظيم في نظر أهل البيت(عليهم السلام)، ويكفي أننا في محلنا هذا وفي فعلنا هذا نكون مقتدين برسول الله(صلى الله عليه وآله)، والمتبع لرسول الله

---

(٥) راجع: الصواعق المحرقة ٢ / ٥٦٤ و ٥٦٥.

(٦) سنن الترمذي (٣٧٧٤)، الصواعق المحرقة ٢ / ٥٦٧، ذخائر العقبى: ١٤٨.

(٧) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

في محل المحبة لله تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ....) [٨]، وحب الله سبحانه للعبد يغيِّر كلَّ المعادلات في الكون.

المحور الثاني: درجات وفضل البكاء.

يرتبط هذا المحور بذكر بعض درجات ومراتب البكاء على الحسين عليه السلام والثواب المترتب على كل درجة كما ورد عن المعصومين (صلوات الله عليهم)[٩].

الأوّل: بكاء القلب بالهم والغم، وهو أول المراتب، وثمرته أنه يجعل النَفَس تسبيحاً لله تعالى، كما عن ابن تغلب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: "نفس المهموم لظلمنا تسبيح"[١٠].

الثاني: وجع القلب، عن الإمام الصادق عليه السلام: " وإنّ الموجع لنا قلبه ليفرح يوم يرانا عند مَوته فرحَةً لا تزال تلك الفرْحَة في قلبه حتّى يرد علينا الحوض، وإنّ الكوثر ليفرح بمُحبِّنا إذا ورد عليه حتّى أنّه ليذيقه مِن ضروب الطَّعام ما لا يشتهي أن يصدر عنه، يا مِسْمع مَن شرب منه شَربةً لم يظمأ بعدها أبداً، ولم يستق بعدها أبداً، وهو في بَرْدِ الكافور وريح المِسْك وطعم الزَّنجبيل، أحلى مِن العَسل، وألين مِن الزَّبد، وأصْفى مِن الدَّمع، وأذكى مِن العَنبر يخرج من تَسْنيم، ويمرُّ بأنهار الجِنان يجري على رَضْراض الدُّرِّ والياقوت، فيه من القِدْحان أكثرُ من عدد نجوم السَّماء، يوجد ريحه مِن مَسيرة ألف عام، قِدْحانه مِن الذَّهب والفِضّة وألوان الجوهر، يفوح في وجه الشّارب منه كلُّ فائحة حتّى يقول الشّارب منه: يا ليتني تركت ههنا لا أبغي بهذا بَدلاً، ولا عنه تَحويلاً" [١١].

الثالث: دوران الدمع في الحدقة بلا خروج، وهذه هي التي توجب الرحمة من الله تعالى، كما في الرواية عن الصادق عليه السلام: " وما بكى أحدٌ رَحمةً لنا ولما لقينا إلاّ رحمه الله قبل

---

(٨) سورة آل عمران: الآية ٣١.
(٩) للمزيد راجع (الخصائص الحسينية).
(١٠) بحار الأنوار: ج٢/ ص١٤٧.
(١١) كامل الزيارات: ج١/ ص١٨٥.

أن تخرج الدَّمعة من عينه"[١٢] .

الرابع: خروجه من العين مع اتصاله به، عن أبي هارون المكفوف قال: " قال أبو عبدالله عليه السلام في حديث طويل له: " ومَن ذُكر الحسينُ عليه السلام عنده فخرج مِن عينه مِن الدُّموع مقدار جناح ذُباب كان ثوابه على الله عزَّوجلَّ ولم يرض له بدون الجنّة" [١٣].

الخامس: تقاطر الدمع من العين، عن الربيع ابن منذر، عن أبيه قال: "سمعت علي بن الحسين(عليهما السلام) يقول: من قطرت عيناه فينا قطرة ودمعت عيناه فينا دمعة بوّأه الله بها في الجنة غرفا يسكنها أحقابا وأحقابا" [١٤].

السادس: سيلانه على الوجه والخد، عن أبي جعفر(عليه السّلام) قال: "كان عليّ بن الحسين(عليهما السلام) يقول: أيّما مؤمنٍ دمعتْ عَيناه لقتل الحسين بن عليٍّ(عليهما السلام) دمعةً حتّى تسيل على خدِّه بوَّأه الله بها في الجنّة غُرفاً يسكنها أحقاباً، وأيّما مؤمن دَمَعَتْ عيناه حتّى تسيل على خَدِّه فينا لأذى مسّنا مِن عَدوِّنا في الدُّنيا بوَّأه الله بها في الجنّة مبوَّأ صِدقٍ، وأيّما مؤمن مَسَّه أذىً فينا فَدَمَعَتْ عيناه حتّى تسيل على خَدِّه مِن مَضَاضةِ ما أُوذي فينا صرَف اللهُ عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة مِن سَخطه والنّار"[١٥] .

السابع: الصراخ والنحيب والشهقة عن الإمام الصادق عليه السلام: في مناجاته بعد صلاته " يا من خصنا بالكرامة، ووعدنا الشفاعة... إغفر لي ولإخواني وزوار قبر أبي الحسين بن علي صلوات الله عليهما... اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص إلينا خلافا عليهم، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس،

---

(١٢) بحار الأنوار: ج٤٤/ ص٢٩٠.
(١٣) كامل الزيارات: ج١/ ص١٨٩.
(١٤) بحار الأنوار: ج٤٤/ ص٢٩٢.
(١٥) وسائل الشيعة: ج١٤/ ص٤٨٣-٥٠٢.

وارحم تلك الخدود التي تقلب على قبر أبي عبد الله ﷺ، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني أستودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى ترويهم من الحوض يوم العطش" [١٦] .

الثامن: التشبه بالباكي، وهو التباكي الذي ورد فيه بالخصوص: عن الإمام الصادق ﷺ: "ومَن أنشَدَ في الحسين شِعراً فتباكى فلَه الجنّة" ، يعني إذا كان القلب قاسياً لا يحترق عليه، فليطأطئ رأسه وليتشبه بالمصاب في الانكسار واظهاره.[١٧]

التاسع: البكاء بلا دمع، لجمود الدمع من كثرة الخروج، وقد اتفق ذلك لنسائه بعد رجوعهن الى المدينة المنورة، وإقامة العزاء، فعالجن ذلك، بما يجري الدمع: من السويق.[١٨]

العاشر: البكاء بحيث يظهر أثره على الشخص فيمتنع من الطعام والشراب أو الالتذاذ بهما أو بغيرهما من مظاهر الحياة.

عن مِسْمَع بن عبدالملك كِرْدين البصريّ قال: "قال لي أبو عبدالله ﷺ: يا مِسْمع أنت مِن أهل العِراق؛ أما تأتي قبر الحسين ﷺ؟ قلت: لا؛ أنا رَجلٌ مشهورٌ عند أهل البصرة، وعندنا مَن يتّبع هوى هذا الخليفة، وعدوّنا كثير مِن أهل القبائل مِن النُّصّاب وغيرهم، ولستُ آمنهم أنْ يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيُمثِّلون بي، قال لي: أفما تذكر ما صنع به؟ قلت: نعم، قال: فتجزع؟ قلت: إي والله واستعبر لذلك حتّى يرى أهلي أثر ذلك عليَّ فأمتنع مِن الطّعام حتّى يستبين ذلك في وَجهي، قال: رحِمَ الله دَمعتَك، أما إنّك مِن الَّذين يُعدُّون مِن أهل الجزع لنا، والّذين يفرحون لِفَرحِنا ويحزنون لِحُزننا ويخافون لَخوْفنا ويأمنون إذا أمنّا،

---

(١٦) الكافي، ٤، ٨٢٩.

(١٧) بحار الأنوار: ج٤٤/ ص٢٨٢. وسائل الشيعة: ج١٤/ ص٥٧٩-٦٠١.

(١٨) ينظر (الخصائص الحسينية)،

أما إنّك سترى عند موتك حضور آبائي لك ووصيّتهم ملكَ الموت بك، وما يلقّونك به مِن البشارة أفضل، ولَملكُ الموت أرقّ عليك وأشدُّ رَحمةً لك من الأُمّ الشّفيقة على ولدها، قال: ثمَّ استعبر واستعبرتُ معه، فقال: الحمد للهِ الّذي فضّلنا على خلقه بالرَّحمة وخصَّنا أهل البيت بالرَّحمة، يا مِسّمَع إنَّ الأرض والسَّماء لتبكي مُنذُ قُتل أمير المؤمنين عليه السلام رَحمةً لنا..." .

المحور الثالث: خصوصيات البكاء على الحسين عليه السلام.

لعلَّ بعض من يقرأ النصوص السابقة يصاب بالحيرة والتعجب والتساؤل وهو كيف تحقق قطرات من الدموع هذه الآثار؟ هل يوجد تناسب ظاهري بين غفران الذنوب جميعها ولو كانت كزبد البحر وبين إخراج دمعة على الحسين عليه السلام؟، هل يوجد تناسب ظاهري بين المقدمة والنتيجة؟

ربما في بادئ الأمر لا نجد تناسباً بين النتيجة والمقدمة فكيف يمكن أن نتصور أثراً بهذا الحجم مقدمته بهذا الحجم وهذا إشكال مطروح، لكن وردت عنه إجابات عديدة نذكر منها:

الجواب الأول: من الخطأ جداً أن يتصور البعض أن الأثر المترتب على خروج الدمعة من العين من أجل مصاب الحسين عليه السلام إنما هو بوزن حجمها الظاهري، فهذا مما يسمى بسطحية وسذاجة التفكير، وإنما التصور الصحيح أن ترتب الأثر من خلال منشأ الدمعة وما دافعها.

أمَّا منشأ الدمعة على الحسين عليه السلام فهو أن البكاء هو اقتداء ومتابعة وتشبه برسول

الله(صلى الله عليه وآله)، وهذا الاتباع بدوره يدخل الانسان في دائرة المحبة الالهية.

أما دافع الدمعة فبعض دوافعها المواساة لرسول الله(صلى الله عليه وآله) وادخال السرور على قلبه بهذا المصاب الذي فجع بالحسين(عليه السلام). وكما هو معروف فإن المواساة وإدخال السرور كلاهما يورث الخير والفضل ورفعة الدرجات في الدنيا والآخرة.

عن أمير المؤمنين(عليه السلام): "المواساة أفضل الأعمال"[١٩] . وعن الإمام الصادق(عليه السلام): تقربوا إلى الله تعالى بمواساة إخوانكم".[٢٠] ، وعَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ(عليه السلام) يَقُولُ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) مَنْ سَرَّ مُؤْمِناً فَقَدْ سَرَّنِي وَمَنْ سَرَّنِي فَقَدْ سَرَّ اللَّهَ"[٢١].

وقَالَ أَبُو عَبْدِاللَّهِ(عليه السلام) فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ إِذَا بَعَثَ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ مِنْ قَبْرِهِ خَرَجَ مَعَهُ مِثَالٌ يَقْدُمُ أَمَامَهُ كُلَّمَا رَأَى الْمُؤْمِنُ هَوْلًا مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ لَهُ الْمِثَالُ لَا تَفْزَعْ وَلَا تَحْزَنْ وَأَبْشِرْ بِالسُّرُورِ وَالْكَرَامَةِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَقِفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُحَاسِبُهُ حِسَاباً يَسِيراً وَيَأْمُرُ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمِثَالُ أَمَامَهُ فَيَقُولُ لَهُ الْمُؤْمِنُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ نِعْمَ الْخَارِجُ خَرَجْتَ مَعِي مِنْ قَبْرِي وَمَا زِلْتَ تُبَشِّرُنِي بِالسُّرُورِ وَالْكَرَامَةِ مِنَ اللَّهِ حَتَّى رَأَيْتُ ذَلِكَ فَيَقُولُ مَنْ أَنْتَ فَيَقُولُ أَنَا السُّرُورُ الَّذِي كُنْتَ أَدْخَلْتَ عَلَى أَخِيكَ الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا خَلَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ لِأُبَشِّرَكَ .[٢٢]

فإذا كانت قيمة ادخال السرور على قلب المؤمن العادي هذا حجمها فكيف إذا كان

---

(١٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ج١/ ص٣٠٤/ ح١٠٢٢٣.
(٢٠) بحار الأنوار: ج٧١/ ص٣٩١.
(٢١) الكافي: ج٢/ ص٢٧٠.
(٢٢) الكافي: ج٢/ ص٢٧١.

ذلك القلب هو قلب الرسول الخاتم محمد(صلى الله عليه وآله).

الجواب الثاني: هذا الأمر لا يختص بالموضوع الحسيني فإن هناك الكثير من الروايات لسانها ذلك اللسان.

عن أبي إسحق قال: سمعت عبدالله ابن معقل قال: سمعت عدي بن حاتم(رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: "اتقوا النار ولو بشق تمرة" [٢٣]، فجزء من تمرة يقي النفس من النار حسب ظاهر النص أليس كذلك؟

عن النبي(صلى الله عليه وآله) قال: "... فإنَّ أحدكم إذا توضأ فأحسن، وأتى المسجد، لا يريد إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه خطيئة، حتى يدخل المسجد، وإذا دخل المسجد، كان في صلاة ما كانت تحبسه، وتصلي -يعني- عليه الملائكة، ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يحدث فيه[٢٤] "، ولو تتبعنا هذه النصوص في هذه المفردات نجد أنها تتحدث عن صغائر الأمور رتَّب الله سبحانه عليها بفضله آثاراً عظيمة ربما نحن بميزاننا لا نستوعب هذا الثواب ولكن الله (عز وجل) أراد فضلاً منه أن يعطي عباده هذا الثواب، ولا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً .

وروي عن النبي(صلى الله عليه وآله): أنه قال: "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة"[٢٥] ، فلماذا لا يستغرب البعض حماية التصدق بشق تمرة من النار ويستغرب الدمعة في سيد الشهداء؟ مع أن الظاهر لا يوجد تكافؤ بين النتيجة والمقدمة؟.

---

(٢٣) صحيح البخاري: ج٥- ص٣٧٥.

(٢٤) صحيح البخاري: ج٢- ص٣٢٧.

(٢٥) سنن الترمذي: ج٤- ص١٣٣.

اخراج الدمعة أشق في المؤنة من الخطوة والتصدق بشق تمرة؛ لأن هذه الدمعة فيها بُعدٌ عقائدي وبُعدٌ إنساني وبُعدٌ مرتبط برسول الله(صلى الله عليه وآله) والاقتداء به، وهذا ما يعطيها القيمة اذ لا وجه للغرابة بل إن فضل الله سبحانه في الدمعة على الحسين يتجلى بشكل آكد من فضل الله (عزّوجلّ) في اعطاء الثواب على التصدق بشق تمرة والخطوة الى المسجد وغيرها من الأمور.

الجواب الثالث: إنه قد ينطبق عنوان ما على فعل من الأفعال، فيكون ذلك الفعل علامة الإيمان ومظهر الدين، وحينئذ فلا ينبغي التعامل مع الفعل باعتبار ذاته وإنما باعتبار ما يرمز إليه ويدل عليه، فإن (شق سنام الناقة في قران الحج، أو تعليق نعل في رقبتها) أمر لو نظر إليه في حدود نفس الفعل لم يكن شيئاً مهمّاً، ولكن حين يكون عنواناً لشعائر الله تعالى، لا يجوز لأحد حينئذ إحلاله كما قال القرآن: (لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ....) [٢٦]. وحين يكون فعل من الأفعال عنواناً لشخصية الإنسان، أو كاشفاً عن عمق الإيمان فإنه يثاب بمقدار أهمية المنكشف لا بمقدار قلة الكاشف. إن دمعة ندم واستغفار من مذنب في جوف الليل قد تستوجب من الثواب أضعاف ما يستوجبه مقدار كبير من النوافل والصلوات المستحبة التي تتجاوز تلك الدمعة من حيث وقتها وزمانها. وإنّ قول: (لا إله إلا الله ومحمد رسول الله) بما هو إعلان للإيمان وكفر بالطواغيت يمهد الطريق للمرء للوصول إلى الجنان، ويحقن بواسطته دم القائل ويصون ماله وعرضه، وينقله من الظلمات إلى النور، مع أنه لا يستغرق من حيث الزمان إلا شيئاً يسيراً، ولكنه يعني الانتقال من عبادة غير الله

(٢٦) سورة المائدة: الآية ٢.

سبحانه وتعالى إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، فيعطي للقائل جميع حقوق الإنسان المسلم ويساويه بذلك الذي عبد الله منذ صغره وقام بالنوافل..[٢٧] .

البكاء على الإمام الحسين عليه السلام بما يمثل من منشأ ودافع وإعلان لموقف الانتماء إلى خط الإمام عليه السلام، وإعلان صرخة الاستنكار والعداء لظالميه وقاتليه وبما هو كاشف عن استيعاب خطه المقدس يجعل ترتب ذلك الثواب عليه أمراً طبيعياً.

(٢٧) ينظر(من قضايا النهضة الحسينية).

یا سید الشهداء
السلام علیک یا اباعبدالله

الشيخ عقيل البصري /خطيب حسيني
بكالوريوس كلية الآداب - جامعة البصرة

لقد كانت واقعة عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام نقطة انطلاق الثورات، والحركات الرِّسالية التي تريد التخلص من الظلم، ونشر الحق في جميع بقاع العالم؛ لأن عاشوراء مدرسة القيم، والأخلاق، أستاذها وقائدها هو سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، وحامل رايتها هو قمر العشيرة أبو الفضل العباس عليه السلام، والناشر لدروسها من بعدهم الإمام علي بن الحسين عليه السلام، والسيدة زينب الكبرى(عليها السلام).

ومن بين تلك الدروس التي كانت واضحةً جليةً في مدرسة عاشوراء هو مفهوم الايثار؛ وهو خصلة كريمة ترفع الاِنسان إلى أعلى مراتب الاِيمان، فحينما يرتفع الاِنسان فوق (الاَنا) ويضع مصلحة الآخرين فوق مصلحته الخاصة، فلا شك أنه قد قطع شوطاً إيمانياً يستحق بموجبه الدَّرجات الرَّفيعة. وقد مدح تعالى أولئك الذين يخرجون من دائرة (الاَنا) الضيقة على الرغم من ضيق ذات اليد إلى دائرة أسمى هي دائرة الاِنسانية.

ويقسم الإيثار على قسمين:

١. **الايثار على النفس: وهذا هو منتهى العطاء والجود في سبيل اللَّه تعالى**

٢. **الايثار بالنفس وهو أفضل أنواع الايثار.**

وإليك صوراً من إيثار عاشوراء:

أولاً: ايثار الإمام الحسين عليه السلام على نفسه:

لقد قدم الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء صوراً من الايثار قلَّ مثيلها ومن بين تلك الصور (عندما قتل أنصاره وأهل بيته، قصده القوم واشتد القتال وقد اشتد به العطش فحمل من نحو الفرات على عمر بن الجناح وكان في أربعة آلاف فكشفهم عن الماء واقتحم الفرس الماء فلما همّ الفرس ليشرب قال الحسين: أنت عطشان وأنا عطشان فلا أشرب حتى تشرب)[1]. نحن نعلم بأنه إمام معصوم قوله وفعله وسكوته حجة، قال الإمام عليه السلام: (لا أشرب..) لماذا؟ (حتى تشرب..) ألا وهو الفرس، فالإمام الحسين عليه السلام يؤثر على نفسه ويقدم ذلك الفرس على نفسه في شرب الماء فلماذا قام الإمام عليه السلام بهذا الفعل؟

ولعلّ الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يعلمنا درساً في الأخلاق فإذا كان يتعامل مع الفرس

---

(١) السيد عبدالرزاق المقرم/ مقتل الحسين -عليه السلام- : ص٤١٥.

بهذه الصورة، فكيف إذن سيتعامل مع الإنسان الذي هو أكرم عند الله سبحانه كما جاء في قوله تعالى :(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا).[٢] والواضح أنه عليه السلام سيتعامل بمرتبة أعلى من تلك المرتبة التي آثر بها الفرس على نفسه، وهذه المرتبة هي الايثار على النفس وليس الايثار بالنفس كما كان مع الفرس.

وموقف آخر: يقول الراوي: (ولما مدّ الحسين يده ليشرب ناداه رجل: أتلتذ بالماء وقد هتكت حرمك؟ فرمى الماء ولم يشرب وقصد الخيمة)[٣]. وأراد الإمام بهذا الموقف أن يعطي للأجيال اللاحقة درساً أخلاقياً في الايثار لكي نتعلم كيف نضحي ونؤثر على أنفسنا من أجل ديننا وأعراضنا، فالإمام عليه السلام ضحى وآثر على نفسه ولم يشرب الماء لأجل عياله والحفاظ عليها فعلينا أن نؤثر على أنفسنا ولو ببعض الوقت لكي نتعلم علوم محمد وآل محمد(صلوات الله عليهم أجمعين) ونعلمها الى عوائلنا لكي نحافظ عليها من بعض الثقافات الغربية المنحرفة التي تدمر شبابنا وفتياتنا وتحاول أن تقتل الغيرة والحمية بعد أن كانت سجية.

إيثار الإمام الحسين عليه السلام بنفسه:

نقل عن علماء الأخلاق وعلماء الفقه وعلماء النفس أن كل عمل يصدر من البشر يتوقف على دافع ومحرك ومنطلق وهذا الدافع يرجع بالتحليل الى أمور ثلاثة :

أ- أن يكون العمل للدنيا.

ب- أن يكون العمل للآخرة.

---

(٢) سورة الإسراء/ آية: ٧٠ .

(٣) السيد عبدالرزاق المقرم / مقتل الإمام الحسين عليه السلام / ص٢٥٥.

ت- أن يكون العمل لله تعالى.

لكن أيّ الدوافع أفضل من بينها؟ نترك التساؤل ليجيب عنه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (إن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار، وإن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد)[٤].عندما ننظر الى الدوافع الثلاثة (الشكر، الرغبة، الرهبة) نجد الدافع الأول (دافع الشكر) أشرف وأفضل من (دافع الرغبة، دافع الرهبة) وهذا ما سيتبين بعد الكلام الآتي:

كان حاتم الطائي يجود حتى بلقمته للآخرين ويبتغي من وراء ذلك الشهرة والذكر الحسن من وراء كرمه، ويروى أنه كانت زوجته ماوية لم تكن راضية عن هذا المستوى من البذل فقال لها:

أماوي إن المال غادٍ ورائحٌ ويبقى من المال الأحاديث والذكر

فالمنطلق الذي قام من أجله أو الدافع في بذل المال والكرم بصورة عامة هو لأجل الحصول على الذكر الحسن والسمعة الطيبة والشهرة وقد نالها. ولكن ما هو دافع سيد الشهداء عليه السلام لكي يؤثر بنفسه؟

إن دافع الإمام الحسين عليه السلام هو التضحية في سبيل الله تعالى لكي يخرج عباده من الجهالة وحيرة الضلالة وهذا ما نجده في قول الإمام الصادق عليه السلام في زيارته لجده الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين قائلاً: (وبذل مهجته فيك ليستنقذ عباده من الجهالة وحيرة الضلالة).

عندما نقرأ هذه الكلمات النورانية نستشف منها عظمة الإمام الحسين عليه السلام كيف أنه

---

(٤) نهج البلاغة/ ص٦٤٥.

توقفت هداية العباد على تضحيته فلبى نداء الباري سبحانه لكي يحافظ على الدين. يوم عاشوراء واذا بالإمام عليه السلام يرمي بدمه الطاهر عندما رماه الأعداء بذلك السهم المثلث في قلبه المبارك وهو يقول: (هوَّن علي ما نزل بي أنه بعين الله).

نعم هكذا كان الإمام الحسين عليه السلام متفانياً في طاعة الله سبحانه فعندما يقول الإمام الصادق عليه السلام: (وبذل مهجته فيك) والمهجة المقصود بها هو الدم الذي يخرج من القلب، فالإمام عليه السلام آثر وبذل دم قلبه الشريف في الله تعالى يعني أن تضحية الإمام عليه السلام العظيمة لم تكن لأجل الجنة وإن كان يحب الجنة، ونحن أيضاً نحبها ولكن الإمام عليه السلام وجد ربه أهلاً لتلك التضحية فضحى الإمام عليه السلام.

نحن نعلم بأن العمل جائز إذا كان لأجل الجزاء ولأجل الجنة مع نيه القربة الى الله تعالى، كما نستشف من قول الإمام عليه السلام: (إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار) لكن كم الفارق بين العبارتين؟ هذا بالنسبة لنا نقول هكذا إذن ماذا يقول الأولياء؟ وخصوصاً عندما نسمع ما روي عنهم(عليهم السلام) بالمعنى:(حسنات الأبرار سيئات المقربين)، لقد بكى النبي شعيب عليه السلام حتى ابيضّت عيناه، وعندما سأله الله سبحانه عن سبب بكائه، قال: أبكي حباً لك فشتان بين بكاء شعيب عليه السلام وبكائنا نحن.

ماذا قدمنا لسيد الشهداء عليه السلام؟ يقول الله سبحانه: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)، لقد قرأنا النص السابق (ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة) أي أنه عليه السلام ضحى وآثر بنفسه لكي يخرجنا من الظلمات الى النور، ومن الجهل الى العلم ومن الباطل الى الحق، وهذا شيء قليل من عطاء الإمام عليه السلام وإحسانه نستشفه؛ لأن عقولنا محدودة، فكيف يمكنها أن تصف الغيب بكلمات الدنيا، إذن إذا كان عطاء الإمام عليه السلام لا تدركه العقول فكيف نرد ذلك الإحسان؟ لا يمكن ذلك ولكن (ما لا يدرك كله لا يترك جله)

فعلينا أن نرفع شعار الإمام الحسين ﷺ في كل زمان ومكان وأن نقول كلمة الحق كما قالها ولا نبالي بالموت: (فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما)[٥].

كما يجب علينا احترام خَدَمَة الإمام الحسين ﷺ سواء كانوا خطباء أو غيرهم كأصحاب المآتم؛ إذ احترامهم هو احترام لسيد الشهداء الإمام الحسين ﷺ وذلك؛ لأنهم ركبوا سفينته التي ينجو من ركب فيها.

وعلينا بزيارته وتشجيع الآخرين عليها، فزيارته جزء من العرفان بالجميل للإمام الحسين ﷺ، لذا نرى أهل البيت(عليهم السلام) هم أول من شجع عليها وحذروا الناس من تركها أو عدم المداومة عليها، لذلك يروى عن صفوان الجمال أنه يسأل الإمام الصادق ﷺ قلت له -أي الإمام الحسين-: (فمن يأتيه زائراً ثم ينصرف متى يعود إليه؟ وفي كم يسع الناس تركه؟ قال: أما القريب فلِما أقلّ من شهر وأما بعيد الدار ففي كل ثلاث سنين فما جاز الثلاث سنين فقد عقّ رسول الله(صلى الله عليه وآله)"[٦].

ثانياً: الإمام العباس ﷺ والإيثار:

إنّ الكلام عن الإمام العباس ﷺ هو الكلام عن الإيمان والشجاعة والوفاء والايثار؛ أما الإيمان فقد وصل الإمام العباس ﷺ الى أعلى مراتب الإيمان ألا وهو التسليم، الذي جسده في يوم عاشوراء لخليفة الله سبحانه في أرضه سيد الشهداء ﷺ وهذا ما نجده في قول الإمام الصادق ﷺ في زيارته لعمه العباس ﷺ: (وأشهد لك بالتسليم والتصديق..)[٧]وأما الشجاعة فقد أصبح رمزها، وما ذكرت الشجاعة إلا واقترن اسمه معها، ولا تقاس بشجاعته إلا شجاعة أبيه وأخيه وقد ادّخره أبوه لينصر ولده

---

(٥) السيد المقرم/ مقتل الحسين-عليه السلام-/ ص١٧٤ - ١٧٥.

(٦) الشعائر الحسينية ومراسيم العزاء / ٢٩

(٧) الشيخ عباس القمي/ مفاتيح الجنان/ ص٤٥٠.

الإمام الحسين(عليه السلام) بنفسه، وسماه أمير المؤمنين(عليه السلام) بالعباس لعلمه بشجاعته وسطوته وصولته وعبوسته في قتال الأعداء وفي مقابلة الخصماء؛ لذلك يقول المرحوم السيد جعفر الحلي:

عبست وجوه القوم خوف الموت والـ عبـــاس فيهم ضاحـك يبتسم
قلب اليمين على الشمال وغاص في الـ أوساط يحصد للرؤوس ويحطم

وأما وفاؤه فكان الإمام العباس(عليه السلام) كله وفاء، وخصوصاً لسيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين(عليه السلام) فكان وفاؤه للإمام الحسين(عليه السلام) كوفاء أمير المؤمنين(عليه السلام) للنبي(صلى الله عليه وآله)، فكان هو نفس الإمام الحسين(عليه السلام) وحامل لوائه، ولذلك قال له الإمام الحسين(عليه السلام) في يوم التاسع من عاشوراء عندما اقترب الأعداء من خيامهم: (إركب بنفسي..)، وهذا الكلام يذكرنا في قول الباري عزّوجلّ: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)، فأمير المؤمنين(عليه السلام) أصبح نفس النبي(صلى الله عليه وآله) كما في الآية السابقة، وهذا يدل على وفاء الإمام علي(عليه السلام) لدرجة أصبح فيها هو نفس النبي(صلى الله عليه وآله) فكذلك الإمام العباس(عليه السلام) كان وفياً حتى قال عنه الإمام الصادق(عليه السلام): (وأشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبي "صلى الله عليه وآله" المرسل...) فما هذا الوفاء الذي انبثق من قمر العشيرة وابن العترة المنيرة؟ إنه وفاء تعلمه من أمه وأبيه ليقتدي الثقلان فيه .

أما ايثاره فقد أصبح درساً تنهل منه الأمم والأجيال على مدى العصور، وكتب في

القلوب قبل أن يكتب على السطور.

فأي ظروف كانت تحيط بالإمام العباس؟ عيون ترى أطفالاً تبكي وتنادي ياعمّاه العطش العطش، وهو عطشان، ولما وصل الى المشرعة وغرف بيده من نهر الفرات وقلبه يلهب من شدة الظمأ، ومذ أحس ببرده تذكر عطش الحسين، فرأى من واجبه ترك الشرب لأن الإمام ومن معه أضرّ بهم العطش فرمى الماء من يده وأتى بالقربة محافظاً على مهجة الإمام، وقال الإمام العباس:

يا نفس من بعد الحسين هوني ... وبعده لا كنت أو تكوني

هـــذا حسين وارد المنون ... وتشربين بارد المعين

تالله مـا هذا فعـال ديني ... ولا فعال صادق اليقين

عندما ننظر الى الصورة السابقة (الإمام يرمي الماء من يده وهو يتذكر عطش مولاه أبي عبدالله وهو في ظروف صعبة جداً كحرارة الجو وقتال الأعداء)، ماذا عمل ساقي العطاشى؟ رمى الماء وقال: (يا نفس من بعد الحسين هوني)، لقد عاتب قمر العشيرة نفسه عتاباً شديداً تمنى فيه الموت؛ لأن الإمام الحسين لا يزال عطشاناً، وكأنه بذلك يكرر كلام أبيه عندما يقول: (ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى العسل ولباب هز القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي الى تخير الأطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع).

فلم يغلب العباسَ هواهُ، بل امتنع عن شرب الماء ليموت فيما بعد عطشاناً كما مات إخوته وأصحابه عطاشا، وكانت تلك واحدة من أندر مواقف التاريخ البشري كله،

فلم نسمع أن مقاتلاً في شدة العطش وفي أشد أوقات الحر يدخل الماء الى ركبتيه وعندما يحس ببرودته يذكر عطش أخيه وأطفاله ونسائه..

لقد كان الإمام العباس عليه السلام يعلم بأنه إن شرب الماء أو لم يشرب فإنه يموت، فالموت مع العطش أفضل لأن ذلك أفضل ثواباً وأعلى مقاماً، ومن هذا القبيل روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه دعاه أخوه في بعض الأيام الى منزله على مأدبة، فأكل ثلاث لقم ثم سحب يده، فقال له أخوه: هلا أكلت يا أمير المؤمنين، فقال: إن هي إلا ثلاث وأريد أن ألقى ربي خميصاً، إذن فكما كان أمير المؤمنين عليه السلام يريد أن يلقى الله جائعاً فذلك ابنه الإمام العباس عليه السلام يريد أن يلقى الله عطشاناً، وإنه وجد من الخيانة لأخيه وذويه، أن يكون رياناً بالماء وهم عطاشا وهذا ما نطق.

ثم بعد ذلك آثر الإمام العباس عليه السلام بنفسه الطاهرة، وذلك عندما ملأ القربة وركب جواده: فكمن له زيد بن الرقاد الجهني من رواء نخلة وعاونه حكيم بن الطفيل السنبسي فضربه على يمينه فبراها فقال عليه السلام:

والله إن قطعتم يميني ... إني أحامي أبداً عن ديني

وعن إمام صادق اليقين ... نجل النبي الطاهر الأمين

فلم يعبأ بيمينه بعد أن كان همه ايصال الماء الى أطفال الإمام الحسين عليه السلام وعياله، لكنّ حكيم بن الطفيل كمن له من وراء نخلة فلما مرّ به ضربه على شماله فقطعها وتكاثروا عليه وأتته السهام كالمطر، فأصاب القربة سهمٌ وأريق ماؤها وسهم أصاب صدره، وضربه رجل بالعمود على رأسه ففلق رأسه عليه السلام

لقد ضحى قمر العشيرة عليه السلام لكي يلبي قول الباري عزّوجلّ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا

أَنْصَارَ اللَّهِ). فقد عَلِم عليه السلام أن نصرة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته هي نصرة الله سبحانه ونصرة الرسول(صلى الله عليه وآله)، فذهب الى الميدان لكي يستسقي الماء لعيال الإمام الحسين عليه السلام فأخذ يقدم لله سبحانه عضواً بعد عضو، لكي يكون قرباناً له سبحانه حتى فاضت روحه الطاهرة بين يدي سيّده أبي عبدالله الإمام الحسين عليه السلام، وهذه التضحية -أي التضحية بالنفس- هي أعلى مراتب الإيثار، لذلك يقول أبو تمام الطائي:

يجود بالنفس إذ ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجودِ

ثالثاً: السيدة زينب الكبرى(عليها السلام) والإيثار:

إن الكلام عن السيدة الجليلة زينب الكبرى(عليها السلام) يذكرنا بآلام عاشوراء وما جرى عليها في كربلاء المقدسة من المصائب والمحن التي تذوب لشدتها صم الجبال، ويذكرنا اسمها بصبرها الذي أصبح رمزاً يشار إليه بالبنان، حتى أصبحت عنواناً لقصائدهم وغرضاً برثائهم، ومن بين تلك السطور أبيات للعلامة الجليل السيد رضا الموسوي الهندي يقول فيها:

بأبي التي ورثت مصائب أمها وغدت تقابلها بصبر أبيها
لم تله عن جمع العيال وحفظهم بفـراق إخوتها وفقد بنيها[٨]

تربَّت السيدة زينب(عليها السلام) في بيت الوحي وبيت النبوة والإمامة، فاستلهمت الشجاعة والفصاحة والصبر والإيثار من النبي والوحي(صلوات الله عليهم أجمعين)، فكما أبيها عليه السلام في ليلة المبيت عندما ضحّى بنفسه لأجل النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) حتى نزل فيه قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) فكذلك آثرت هذه السيدة الجليلة في عاشوراء في مواقف عديدة نقتبس منها

(٨) زينب الكبرى من المهد الى اللحد / ٢٨٢

هذه الشذرات:

١ - إيثار السيدة زينب(عليها السلام) بأولادها:

فبعد أن وصلت النوبة الى أولادها وأفلاذ كبدها، أولئك الفتية الذين سهرت من أجلهم الليل وأتعبت أيامها وصرفت حياتها في تربية تلك البراعم حتى نمت وأورقت وهما: (عون، محمد): فعندما برز عون بن عبدالله وهو يرتجز ويقول:

إن تنكروني فأنا ابن جعفر شهيد قوم في الردى عميان
يطير فيها بجناح أخضر كفى بهذا شرفاً في المحشر

فقتل ثلاثة فرسان وثمانية عشر رجلاً فقتله عبدالله بن قطبة ثم برز أخوه محمد بن عبدالله وهو ينشد:

أشكو الى الله من العدوان فعال قوم في الروى عميان
قد بدّلوا معالم القرآن ومحكم التنزيل والتبيان

فقتل عشرة من الأعداء فقتله عامر بن نهشل التميمي[٩].

لقد قدمت السيدة زينب(عليها السلام) أغلى شيء في سبيل نصرة سيدها وأخيها الإمام الحسين(عليه السلام)، ألا وهما ولديها (سلام الله عليهما).

٢ - السيدة زينب(عليها السلام) والإيثار عندما أضرم الأعداء النار:

قال بعض من شهد بنات الرسالة عندما أضرم الأعداء النار في خيامها:

رأيت امرأة جليلة واقفة بباب الخيمة والنار تشتعل من جوانبها، وهي تارة تنظر يمنة ويسرة تارة أخرى، تنظر الى السماء وتصفق بيديها، وتارة تدخل في تلك الخيمة وتخرج، فأسرعت اليها وقلت: ياهذي ما وقوفك هاهنا والنار تشتعل من جوانبك وهؤلاء

(٩) زينب الكبرى من المهد الى اللحد، ٩٧-٩٦.

النسوة فررن وتفرقن ولم تلحقي بهن؟ وما شأنك؟ فبكت وقالت: يا شيخ إن لنا عليلاً في الخيمة، ويروى عن حميد بن مسلم قال: (رأيت زينب -حين إحراق الخيام- قد دخلت في وسط لهيب النار فظننت أنها تسحب ميتاً قد أحرق، فاقتربت لأنظر اليه فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين)، عندما ننظر الى هذه العملية الفدائية وهذه التضحية بالحياة كيف تقتحم هذه السيدة الجليلة المكان المشحون بلهيب النار وتنقذ ابن أخيها أو إمام زمانها من بين أنياب الموت؟[١٠]، نعرف مدى قدرتها وإيثارها وموقفها البطولي الذي يذكرنا بالسيدة الزهراء(عليها السلام) عندما هجم الأعداء على دارها وكسروا ظلعها وأسقطوا جنينها، لكن هل حال ذلك بينها وبين الدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام عندما أخذوه مكبلاً بحمائل سيفه؟.. كلا وإنما قالت: (والله لا أدعكم تجرون ابن عمي ظلماً، ويلكم ما أسرع ما خنتم الله ورسوله فينا أهل البيت..)[١١]فزينب(عليها السلام) استمدت من شجاعة أمها الزهراء(عليها السلام) وأبيها عليه السلام ذلك البطل الذي كان يخوض غمار الموت بين يدي رسول الله(صلى الله عليه وآله) للدفاع عن الإسلام والمحافظة على حياة نبي الإسلام فكذلك كانت زينب(عليها السلام) تقوم في عاشوراء بتلك المراسيم البطولية لكي تحافظ على إعلاء كلمة الله سبحانه عن طريق الدفاع عن إمام زمانها الإمام السجاد عليه السلام.

٣- إيثار السيدة زينب(عليها السلام) لكي تمهد لدولة العدل الإلهي:

شاء الله تعالى أن تكون السيدة زينب(عليها السلام) هي إحدى النساء الممهدات

---

(١٠) (زينب الكبرى من المهد الى اللحد / ١٢٠)

(١١) "الهجوم على بيت فاطمة/ ١٢١.

لدولة العدل الالهي بقيادة الإمام المنتظر(عجل الله فرجه) قبل ولادته، وذلك عندما آثرت بنفسها الطاهرة لكي تحافظ على نسل الإمام، وذلك عندما قتل الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء وأهل بيته(عليهم السلام)، وهجم الأعداء على مخيم النساء، وأمر ابن زياد بقتل أولاد الإمام الحسين بن علي عليه السلام، قالت بطلة كربلاء كلمتها الشهيرة: (لا يقتل حتى أقتل دونه فكفوا عنه)[١٢].

عندما ننظر الى هذه الكلمات النورانية المستمدة من الشجاعة الفاطمية نتعلم الشجاعة، والإيمان، والصبر، والايثار، لقد كانت السيدة زينب(عليها السلام) كانت عالمة غير معلمة كما روي عنها؛ وقد كانت تعلم أن من واجبها الدفاع عن إمام زمانها الإمام السجاد عليه السلام، وأنها كانت تعلم أن قتله هو قتل للدين، وقتل الأنبياء والأوصياء، وبعبارة أخرى، قتل الهدف الذي بعثوا من أجله، ولذلك آثرت بنفسها لكي تحافظ على رسالة الأنبياء والأوصياء، وتمهِّد لدولة العدل الإلهي من خلال الحفاظ على الإمام السجاد عليه السلام والد الإمام المهدي(عجل الله فرجه)، وقتله هو قتل الإمام(عجل الله فرجه) لأن الله سبحانه يأبى أن تجري الأمور إلا بأسبابها.

٤- إيثار السيدة زينب(عليها السلام) عندما سقط سيد الشهداء عليه السلام على رمضاء كربلاء

يروى أنه لما سقط الإمام الحسين عليه السلام على رمضاء كربلاء خرجت السيدة زينب(عليها السلام) من الخيمة نحو الميدان وهي تنادي: وا اخاه واسيداه، فجلست عنده وألقت نفسها على جسده الشريف، وجعلت تقول: أنت الحسين؟ أنت أخي أنت ابن محمد

---

(١٢) مقتل الحسين عليه السلام/ ٢٨١.

المصطفى أنت ابن علي المرتضى؟ أنت ابن فاطمة الزهراء؟عليها السلام

ثم جلست خلفه، وأدخلت يدها تحت كتفه، أجلسته حاضنة له بصدرها فانتبه الإمامعليه السلام من كلامها، وقال لها بصوت ضعيف: أخيه زينب كسرت قلبي، وزدتني كرباً الى كربي، بالله عليك إلا ما سكنت وسكتّ.

فصاحت: واويلاه يا أخي وابن أمي، كيف أسكن وأسكت وأنت بهذه الحالة تعالج سكرات الموت روحي لروحك الفداء، ونفسي لنفسك الوقاء.

فبينا هي تخاطبه ويخاطبها، وإذا بالسوط يلتوي على أكتفها، وقائل يقول: تنحّي عنه وإلا ألحقتك به، فالتفتت وإذا هو شمر بن ذي الجوشن(لعنه الله) فاعتنقت أخاها وقالت: والله لا أتنحى عنه وإن ذبحته فاذبحني قبله[١٣] لقد أرادت أن تقدم نفسها، وتضحي بها قبل قتل إمام زمانها سيد الشهداء الإمام الحسينعليه السلام، فهذه التضحية تدل على عظمة الشخصية، وبطولتها، وقربها من الله سبحانه بحيث وصلت الى هذه المرحلة من الايثار.

رابعاً: ايثار علي بن الحسينعليه السلام -علي الأكبر-

هو أحد رجال الحق الذين صمدوا بوجه الباطل، وحملوا راية الإسلام الخفاقة، لقد كان علي الأكبر رجل الإيمان؛ لأنه تخرج من مدرسة الإيمان مدرسة أمير المؤمنينعليه السلام، لذلك عندما نتكلم عن شجاعته تلوح أمامنا شجاعة علي المرتضىعليه السلام لذلك يقول الشيخ جعفر الكربلائي:

علي في الطفوف أقام حرباً كحربك يا علي مع اليهودِ

(١٣) زينب الكبرى من المهد الى اللحد / ١١٤- ١١٢

وصيَّر كربلا بدراً وأُحْداً ونادى يا حروبَ الجَدِّ عودي

نعم كان علي الأكبر(عليه السلام) قوي الإيمان، يروى أنه عندما قال الإمام الحسين(عليه السلام) لقد سمعت هاتفاً يقول: أنتم تسرعون والمنايا تسرع بكم الى الجنة، فماذا قال علي الأكبر(عليه السلام)؟ هل قال الى أين سنلجأ؟ هل قال أنا لا أحب الموت؟ كلا وألف كلا. وإنما قال: (يا أبه أفلسنا على الحق؟ فقال: بلى يا بني والذي اليه مرجع العباد، فقال: يا أبه إذن لا نبالي بالموت، فقال له الإمام الحسين(عليه السلام): جزاك الله يا بني خير ما جزى ولداً عن والد)[١٤]. وهذا الكلام بدوره يذكرنا بجده أمير المؤمنين(عليه السلام) عندما رأى النبي(صلى الله عليه وآله) يبكي في خطبته في الآخر من شعبان ويسأل الإمام رسول الله(صلوات الله عليهم أجمعين) عن سبب بكائه؟، فقال النبي(صلى الله عليه وآله): (لما يستباح منك في هذا الشهر)، فقال أمير المؤمنين(عليه السلام): وذلك في سلامة من ديني..؟[١٥] عندما ننظر الى هاتين الشخصيتين الإمام علي(عليه السلام)، وحفيده علي بن الحسين(عليه السلام) نجد علاقة الإيمان والشجاعة في استقبال الموت قبل أن يقع مادام ذلك الموت فيه حياة الدين، وأيضاً كأنهما يقدمان رسالة الى الأحرار في العالم ويقولان: إذا كنتم مع الحق فلا تبالوا في الموت.

لذلك نجد علي الأكبر(عليه السلام) يقف يوم العاشر من المحرم بكل إيمان، ولا يبالي بالموت؛ لأنه كان يرفع راية الحق بيده فأخذ يرتجز ويقول:

أنا علي بن الحسين بن علي نحن ورب البيت أولى بالنبي
أطعنكم بالرمح حتى ينثني أضرب بالسيف أحامي عن أبي
ضرب غلام هاشمي علوي تالله لا يحكم فينا ابن الدعي[١٦]

(١٤) الشيخ عباس القمي/ منتهى الآمال/ ١/ ٤٦١.
(١٥) السيد كاظم القزويني / علي من المهد الى اللحد / ٣١٢
(١٦) الشيخ عبد الهادي المازندراني/ معالم السبطين ١/ ٤١٠

عندما تقدم علي بن الحسين عليه السلام، وأخذ يقاتل ويقول: (..أحامي عن أبي) ليس لأنه أبوه، وإنما لأنه خليفة رسول الله(صلى الله عليه وآله) أي خليفة الله سبحانه في أرضه فهو يقاتل لأجل إحقاق الحق، ويقدم نفسه لكي لا يسود الظلم بوجود الطغاة (لا يحكم فينا ابن الدعي)، لكي لا يحكم فينا يزيد شارب الخمور؛ فلأجل ذلك قدم نفسه الطاهرة حتى أصبع أول شهيد من بني هاشم في سبيل نصرة الدين والمذهب.

خامساً: إيثار القاسم بن الإمام الحسن عليه السلام

كان القاسم بن الإمام الحسن عليه السلام يرى حياته في الموت بين يدي عمه سيد الشهداء عليه السلام؛ لأنه كان يرى الحياة التي فيها ينادي عمُّه "ألا من ناصر ينصرنا"؟ -فلم يجبه أحد- موتاً، ويرى الموت في سبيل الله تعالى وبين يدي الإمام الحسين عليه السلام حياة .

لذلك عزم القاسم بن الإمام الحسن عليه السلام على القتال فأقبل على عمِّه الحسين عليه السلام يستأذنه للقتال، فنظر اليه عمه الإمام الحسين عليه السلام فلم يملك نفسه دون أن يتقدم اليه، فتقدم اليه واعتنقه وجعلا يبكيان حتى أنهما غشي عليهما، ثم أن القاسم عليه السلام استأذن عمه عليه السلام في المبارزة فأبى أن يأذن له، فلم يزل يتوسل ويُقبِّل يديه ورجليه حتى أذن له، وخرج ودموعه على خديه وهو يرتجز ويقول:

إن تنكروني فأنا نجل الحسن سبط النبي المصطفى والمؤتمن
هذا حسين كالأمير المرتهن بين أناس لا سقوا صوب المزن [١٧]

---

(١٧) الشيخ عباس القمي/ منتهى الآمال ١/ ٥٢٤

فأي شجاعة وإيمان تجعل القاسم عليه السلام يُقبِّل يدي عمه الإمام الحسين عليه السلام، ورجليه، وأي درجة بل أي مرتبة من مراتب الإيثار كان يمتلكها في سبيل أن يقدم نفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى، والدفاع عن إمام زمانه الإمام الحسين عليه السلام.

لؤي عبدالرزاق فرج الله / كاتب وصحفي

عن أبي جعفر الثاني، عن آبائه، عن الحسين بن علي(عليهم السلام) قال: دخلت على رسول الله(صلى الله عليه وآله) وعنده أُبيُّ بن كعب فقال لي رسول الله(صلى الله عليه وآله): مرحباً بك يا أبا عبدالله يا زين السماوات والأرضين، قال له أبيٌّ: وكيف يكون يا رسول الله زين السماوات والأرض أحد غيرك؟ فقال: يا أبيّ والذي بعثني بالحق نبياً إن الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض، وإنه لمكتوب عن يمين عرش الله "مصباح هدى، وسفينة نجاة"[1].

(١) بحار الأنوار / ج ٩١ / ص ١٨٤.

إذا أردنا أن نكشف عن شيء يسير من عظمة سيد الشهداء﵇ لابدّ من الرجوع إلى القرآن الكريم وروايات المعصومين(صلوات الله عليهم)، ومن الأحاديث التي تبين بعض المقامات العظيمة للإمام الحسين﵇ هذا الحديث الشريف، وسنحاول أن نبحث فيه من خلال ثلاث أبعاد وهي:

البعد الأول: البعد المكاني.

البعد الثاني: البعد المعنوي.

البعد الثالث: البعد اللغوي.

البعد الأول: البعد المكاني:

بالنسبة الى البعد الأول وهو البعد المكاني نجد أن هذه العبارة: "إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة" بنصّ النبي(صلى الله عليه وآله) قد كتبت عن يمين العرش، فلماذا يذكر النبيّ(صلى الله عليه وآله) مكان وجود هذه العبارة وما هو تأثير هذا البعد المكاني في فهم هذه الرواية؟ لاشكّ في مقام الجواب هنا أنّ الحسين﵇ كان القدوة في المجالَيْن، المجال التشريعي والمجال التكويني لسائر الأنبياء والرسل(عليهم السلام)، أمّا كونه﵇ قدوة للأنبياء في الجانب التشريعي فالله عزّوجلّ قد كتب هذه العبارة عن يمين العرش منذ الأزل، ذلك لأنه عندما تصعد الملائكة ترى هذه العبارة فتتخذ من الحسين﵇ قدوة لها، وعندما يعرج الله سبحانه وتعالى بالأنبياء أو عندما يُكشف لإبراهيم عن ملكوت السموات والأرض يرى مكتوباً حول العرش وعن يمينه أن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة، هنا يتبيّن أن الحسين﵇ قدوة لسائر الأنبياء والرسل.

وقد عُرضت مسيرة الحسين عليه السلام على الأنبياء منذ القدم قبل أن تقع هذه المصيبة، ليس فقط لكي يبكي الأنبياء على الحسين ويأخذوا الثواب، وإنما ليتّخذ الأنبياء من الحسين قدوة لهم في مسيرة الدعوة الى الله تعالى فقد رويت العديد من الروايات في هذا الخصوص وهذا المعنى منها:

١- روي أن آدم عليه السلام لمّا هبط إلى الأرض، مرّ بكربلاء فاغتمّ وضاق صدره من غير سبب، وتعثّر في الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام، حتى سال الدم من رجليه، فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي هل حدث مني ذنب آخر فعاقبتني به؟ فإني طفت جميع الأرض، وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض. فأوحى الله تعالى إليه يا آدم ما حدث منك ذنب، ولكن يقتل في هذه الأرض ولدك الحسين عليه السلام ظلماً، فسال دمك موافقةً لدمه، فقال آدم: يا رب أيكون الحسين عليه السلام نبياً؟ قال: لا. ولكنّه سبط النبيّ محمد(صلى الله عليه وآله) فقال: ومن القاتل له؟ قال: قاتله يزيد لعين أهل السماوات والأرض، فقال آدم: فأي شيء أصنع يا جبرئيل؟ فقال: العنْه يا آدم، فلعنه أربع مرات...[1]

٢- روى صاحب الدر الثمين في تفسير قوله تعالى: (فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ...) البقرة:٣٧ أنّه رأى ساق العرش وأسماء النبي والأئمة(عليهم السلام)، فلقّنه جبرئيل عليه السلام وقال له قلْ: يا حميد بحقّ محمد، يا عالي بحقّ عليّ، يا فاطر بحقّ فاطمة، يا محسن بحقّ الحسن والحسين ومنك الإحسان. فلمّا ذكر الحسين عليه السلام سالت دموعه وانخشع قلبه، وقال: يا أخي جبرئيل في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي؟، قال جبرئيل: ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب، فقال: يا أخي وما هي؟ قال: يقتل عطشاناً

(١) بحار الأنوار: ج٤٤ / ص٢٤٢ .

غريباً وحيداً فريداً ليس له ناصر ولا معين، ولو تراه يا آدم وهو يقول واعطشاه واقلة ناصراه، حتى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان، فلم يجبْه أحدٌ إلّا بالسيوف وشرب الحتوف، فيذبح ذبح الشاة من قفاه، وينهب رحله أعداؤه وتشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان، ومعهم النسوان، كذلك سبق في علم الواحد المنان، فبكى آدم وجبرئيل(عليهما السلام) بكاء الثكلى..[٢]

٣- روي أنّ نوحاً لمّا ركب في السفينة طافت به جميع الدنيا، فلمّا مرّت بكربلا أخذته الأرض وخاف نوح الغرق، فدعا ربه، وقال: إلهي طفت جميع الدنيا وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض، فنزل جبرئيل، وقال: يا نوح في هذا الموضع يقتل الحسين سبط محمد خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء، فقال: ومن القاتل له يا جبرئيل؟ قال: قاتله لعين أهل سبع سماوات وسبع أرضين، فلعنه نوح أربع مرات، فسارت السفينة حتى بلغت الجودي واستقرت عليه.[٣]

٤- روي أن إبراهيم مرّ في أرض كربلا وهو راكب فرساً فعثر به وسقط إبراهيم وشج رأسه وسال دمه، فأخذ في الاستغفار، وقال: إلهي أي شيء حدث مني؟ فنزل إليه جبرئيل وقال: يا إبراهيم ما حدث منك ذنب، ولكن يقتل هنا سبط خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء، فسال دمك موافقةً لدمه. قال: يا جبرئيل ومن يكون قاتله؟ قال: لعين أهل السماوات والأرضين.. فرفع إبراهيم يديه ولعن يزيد لعناً كثيراً..[٤]

٥- وروي أن النبيَّ سليمان كان يجلس على بساطه ويسير في الهواء، فمرّ ذات يوم

(٢) بحار الأنوار / ج٤٤/ ص٢٤٥/ .
(٣) المصدر نفسه / ج٤٤/ ص٢٤٣/ .
(٤) عوالم الشيخ البحراني/ ج١/ ص١٠٠.

وهو سائر في أرض كربلا، فأدارت الريح بساطه ثلاث دورات حتى خاف السقوط فسكنت الريح، ونزل البساط في أرض كربلا. فقال سليمان للريح: لم سَكَنْتِ؟ فقالت: إن هنا يقتل الحسين عليه السلام، فقال عليه السلام: ومن يكون الحسين؟ فقالت: هو سبط محمد المختار، وابن علي الكرار، فقال: ومن قاتله؟ قالت: لعين أهل السماوات والأرض يزيد، فرفع سليمان يديه، ولعنه ودعا عليه وأمّن على دعائه الإنس والجن فهب الريح وسار البساط..[٥] من خلال ذلك يتبيّن لنا أن الأنبياء(صلوات الله عليهم) كانت لهم أسوة بالحسين عليه السلام في جميع ابتلاءاتهم وتضحياتهم.. عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام: إن إسماعيل كان رسولاً نبياً سلّط اللهُ عليه قومه فقشروا جلدة وجهه وفروة رأسه فأتاه رسولٌ من رب العالمين، فقال له: ربك يقرئك السلام ويقول: قد رأيتَ ما صُنع بك وقد أمرني بطاعتك، فمُرْني بما شئت، فقال: يكون لي بالحسين بن علي(عليهما السلام) أسوة.[٦]

لذلك كان الحسين عليه السلام قدوة للأنبياء، ولذلك نراه في مسيرته الى العراق دائماً يكرر قوله: "إن من هوان الدنيا على الله أن يُهدى رأسُ يحيى الى بغيٍّ من بغايا بني اسرائيل".

ودائماً ما يربط الحسين عليه السلام بين مصيبته ومصيبة الأنبياء، والمصائب التي كتبت على الأنبياء إنّما كتبت لتكون مشابهة لمصيبة الحسين عليه السلام. فكان التعبير عن الحسين عليه السلام بهذه الكلمة التي كتبت عن يمين العرش ليكون المثل الأعلى والقدوة الحسنى، كما ورد في الزيارة الجامعة.

---

(٥) بحار الأنوار/ ج٤٤/ ص٢٤٤.

(٦) . عوالم الشيخ البحراني/ ج١/ ص١٠٨ .

البعد الثاني: البعد المعنوي:

أشار الحديث الشريف من ناحية التشبيه أنّ الحسين مصباحٌ، ونحن نعلم أن المصباح لا يُستعمل في النهار، إنّما يُستعمل في الظلمة، والرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) يرى ويعلم أن أمته ستعيش ظلمة وعتمة لا يرى فيها أحدٌ شيئاً من الحقّ إذا لم يستضيءْ بمصباح الحسين عليه السلام ونوره، فكأن الحديث يشير إلى أمرين:

الأمر الأوّل: الإخبار بالغيب، وهو أنّ الأمة ستعيش ظلمة لا يبدّدها إلاّ مصباح الحسين عليه السلام الذي تهتدي به الأمة، ومن خلاله يتميّز الحق من الباطل، ولكن ليس كلُّ داعية ضدَّ الظلم يكون مصباحاً، فلربّما انطلق من مصالح شخصية، وإن طلى دعوته بطلاوة الحق والدين والدفاع عن المظلوم والقيم.

فالانقلاب الأول على الأعقاب بدأ من يوم السقيفة، وقد أعلن الإمام علي عليه السلام مخالفته، وبيّن للمجتمع الإسلامي أجمعه أن الإسلام انحرف عن مجراه، وما بقيت منه إلاّ الظواهر، فترك الأمة في السقيفة ومؤامراتها ونهمتها على طلب الزعامة والرئاسة، وراح ليعيش الوسطية بين الصراع على الحكم والعزلة؛ آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، مدافعاً عن المظلوم، شارحاً للرسالة وأبعادها، فهذا هو الخطر الأول الذي بيّنه الرسول(صلى الله عليه وآله)، وهو: أنّ الأمة ستنساق إلى ظلمة أو جهل أو جاهلية تامة، لا مصباح ولا نور فيها إلاّ من اهتدى بمسيرة ونور الحسين عليه السلام. ثم فقدت الأمة شريعتها ودينها في عصر بني أمية وبالأخص حينما استلم الحكم شابٌّ يرتكب المنكرات جهاراً، ولا يتورّع عن محارم الله ألا وهو يزيد بن معاوية(لعنه الله).

الأمر الثاني: أنّ الرسول(صلى الله عليه وآله) عقّب في ذلك الحديث بأن الأمّة في سنة٦١هـ ستفقد دينها ودنياها معاً من خلال قوله(صلى الله عليه وآله): (...وسفينة النجاة).

فهي إشارة إلى الطوفان، وإشارة إلى ما جرى من الحدث المهم حينما هلكت البشرية في عهد النبي نوح﵇، ويشير الرسول(صلى الله عليه وآله) إلى نهاية أمرين في سنة٦١ من الهجرة هما: ظلمة إسلامية بنهاية الظاهر والباطن والدنيا والآخرة معاً... وأنّه لا عَلَم يهتدي به الناس إلاّ الحسين بن علي(عليهما السلام) في نهضته التي قام بها ضدّ الباطل، ولكي نبصر ونرى طريق الحق لابدّ لنا من مصباح الهدى لنهتدي به في كل زمان ومكان، وكان الرسول الأكرم(عليه الصلاة والسلام) يعرف ذلك، وقد أوصانا أن نتمسك بالحسين﵇ لأنه مصباح الهدى وسفينة النجاة.

البعد الثالث: البعد اللغوي:

نجد أن الله عزّوجلّ قد كتب عن يمين عرشه كلمتين: الكلمة الأولى "مصباح الهدى" وهي تشير إلى مقام سامٍ ورفيع، والكلمة الثانية "سفينة النجاة" وهي تشير الى مقام رفيع آخر.

أما بالنسبة للكلمة الأولى (مصباح الهدى) فهي تعني أن الحسين﵇ يحتاج اليه من يسعى الى الهداية لينير له الطريق ولكي يسير على ذات الدرب الذي خطه الحسين(صلوات الله وسلامه عليه) من خلال نهجه في نهضته المباركة الخالدة، ولكن قد يتبادر الى الذهن هذا التساؤل، وهو لماذا نلاحظ في زيارات الأئمة(عليهم السلام) عندما يصفون الحسين بالمصباح يُضيفونه الى الهدى فيقولون:(مصباح الهدى)، وعندما

يصفون سائر الأئمة في زياراتهم يُضيفونهم الى الدجى فيقولون:(مصابيح الدجى)؟؟ فما هو الفرق بين الإضافتين؟ ولماذا كان الأئمةُ والحسين(عليهم السلام) مصابيح دجى، بينما كان الحسين عليه السلام وحده مصباح الهدى؟ والجواب هنا أنه من الناحية اللغوية تكون الإضافة عند علماء اللغة على ثلاثة أنواع:

الإضافة الأولى: وهي الإضافة اللامية، ويعني أن تكون الإضافة بمعنى اللام، كقولنا: (غلام زيد) بمعنى أن هذا الغلام متعلق بزيد، أي ترجع ملكيته لزيد، وهذه يقال لها الإضافة اللامية.

الإضافة الثانية: وهي الإضافة البيانية بـ(من) المحذوفة، أي لبيان جنس الأشياء، فعندما يقال: (شجر الرمان) فذلك يعني (شجر من الرمان) والمراد منه جنس الرمان وهو الرمان، وكقولنا: (خاتم عقيق) بمعنى خاتم من جنس العقيق، وهذه يقال لها الإضافة البيانية.

الإضافة الثالثة: وهي الإضافة الظرفية بـ(في) المحذوفة، مثل قولنا: (مكر الليل) أي (المكر الذي وقع في الليل).

وعندما يضاف الدجى هنا في التعبير عن الأئمة(عليهم السلام)، فإن هذه الإضافة هي إضافة لامية، يعني (مصابيح للدجى أو لكشف الدجى) فكان الأئمة(عليهم السلام) بمناهجهم وبسيرهم وبالجهود التي قاموا بها في الدعوة كانوا مصابيح من خلال إرشاد الناس لمناهجهم لغرض اتباعهم.

أما الحسين عليه السلام فإن الوضع يختلف معه، إذ شارك الأئمة(عليهم السلام) في هذا المقام وأضيف اليه مقام آخر وهو مصباح الهدى، وهذا يعني أن الإضافة تكون هنا بيانية،

أي مصباح الهدى هو هدى الحسين بذاته والهدى هو ذكر الحسين، والهدى هو مصيبة الحسين عليه السلام فتكون للناس هدى وهذا أمرٌ معروف من خلال القصص والأحداث التي تروى، فالحسين عليه السلام مصباح هدى بسيرته وبمصيبته هذا بالنسبة الى الكلمة الأولى..

أما بالنسبة للكلمة الثانية (سفينة النجاة)، فإن كلمة السفينة تستحضر في أذهاننا كلمة "البحر"، لما لها من ارتباط دلالي معها، وهنا ذكر النجاة يدلُّ على أن ذلك البحر يشير الى الغرق، وهذا ما أريد به من التعبير بالسفينة، فإن الذي يغرق في بحر الدنيا وشهواتها وبحر المعاصي والذنوب فعليه أن يلتحق بركب سفينة الحسين عليه السلام، ويعني كذلك أن من أراد النجاة من بحر الشهوات والملذّات فعليه أن يلجأ لسفينة الحسين عليه السلام.

لكنْ كذلك يبقى هناك تساؤل عن سفينة النجاة، وهو أن المعصومين(عليهم السلام) يُعبّر عنهم كلهم بأنهم سفن نجاة، فلماذا لم يُفردْ هذا المقام لإمامٍ من الأئمة(عليهم السلام) حسب الروايات، وإنما أفرد للحسين عليه السلام فقط؟ وللجوابِ عن ذلك نقول: إن هذا له دلالة واضحة من خلال روايات أهل البيت(عليهم السلام) أنفسهم، وهي أن سفينة الحسين عليه السلام لها مزية أخرى، فقد ورد عنهم(عليهم السلام): كلنا سفن نجاة ولكن سفينة الحسين أوسع وفي لجج البحار أسرع.

إذن فالإمام الحسين عليه السلام قد أحاط بمصيبته الأعمال التي نتقرّب بها الى الله عزّوجلّ، فإنّ مصيبة الحسين عليه السلام أوسع دائرة من سائر مصائب أهل البيت(عليهم السلام)، فكم من خدمة ربّما يستقلّها الإنسان أو يحسب أن ثوابها يسيرٌ في هذا الشهر الفضيل وفي غيره، مع أنها عند الله من الأمور العظيمة بثوابها، ولكنّ الإنسان نادراً ما يستثمر الثواب حين يحسبه -في نظره القاصر- قليلاً أو يسيراً.

وهنا يتبيّن أن دائرة الأعمال التي لها تعلّق بقضية الحسين(صلوات الله وسلامه عليه) تقرّبنا الى الله كثيراً، ومنها أو من ضمنها عندما نشرب الماء ونتذكر عطش الحسين عليه السلام ونلعن قاتله..

قال الإمام الصادق عليه السلام: (إن الرجل منكم ليشرب الشربة من الماء فيوجب الله له بها الجنة، إنه ليأخذ الإناء فيضعه على فيه ويسمي ثم يشرب، فيُنحّيه وهو يشتهيه، فيحمد الله تعالى، ثم يعود فيشرب، ثم ينحّيه وهو يشتهيه، فيحمد الله عزّوجلّ، ثم يعود فيشرب، فيوجب الله عزّوجلّ له الجنة) (٧).

وقد ورد في رواية أخرى، يقول داوود الرقي: طلب أبو عبدالله الصادق عليه السلام يوماً من الأيام الماء، فلمّا أُتي له بالماء اغرورقت عيناه وذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله، ثم التفت الينا وقال: ما من رجل يشرب الماء ويذكر الحسين عليه السلام إلّا أعطاه الله بذلك مئة ألف حسنة ورفع عنه مئة ألف سيئة... وهذه عبادة بالشرب حين تذكر الحسين عليه السلام عند شربك الماء.

ويروى أن رجلاً بات عند الإمام الصادق عليه السلام ليلة من الليالي، وعندما جاء الى الإمام الصادق عليه السلام تعشّى مع الإمام ثم أوى ذلك الرجل للنوم وأوى الإمام عليه السلام الى العبادة، وكان تعبّد الإمام عليه السلام من المغرب الى الفجر، ثم لمّا أصبح قال الرجل للإمام الصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله، إني قد آيست من النجاة.. فقال له الإمام عليه السلام: ولماذا؟ قال: إذا كنت أنت ابنُ رسول الله وأنت إمامٌ معصوم تقوم بالعبادة من المغرب الى الفجر وتبكي كل هذا البكاء، فما بالي وأنا هذا الرجل؟ قال له الإمام عليه السلام: إنك عملتَ البارحة عملاً يُساوي فضلُه فضلَ كلِّ ما عملتُ، قال: وما الذي عملتُه؟ قال عليه السلام: إنك لمّا نمتَ عطشتَ في

(٧) بحار الأنوار/ ج٦٨ / ص٣٢، والكافي / ج٢/ ص١٤٣ .

نومك ثم انتبهت من نومك وذهبتَ لتشرب الماء فتذكّرتَ عطش الحسين فصلّيتَ عليه ولعنتَ قاتله ..

تخيّلْ عبادة الإمام عليه السلام من المغرب الى الفجر، وهو يقول للرجل: إنك عملتَ عملاً يُساوي كل هذه العبادة التي صدرتْ مني، رغم أنها عبادة إمام معصوم مفترض الطاعة وتختلف عن عبادة المأمومين، فكيف للإنسان أن ييأس من النجاة مع وجود مثل هذه الأعمال الكثيرة المتعلقة بالحسين عليه السلام وهو سفينة النجاة .

مِصْبَاحُ الهُدىٰ

ان الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة